السبت 15 كانون الثاني 2022
العدد 4536 السنة السادسة عشرة
Samedi 15 Janvier 2022 nº 4536 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

حسين البرغوثي
باقٍ مع شجر اللوز

لا ضمانات أميركية جدّية للبنان والقاهرة
الغاز المصري مؤجل [2]

اطلب القوس مع الأخبار

غزة: إعمارٌ ممنوع
[10 ـ 11]

ربّما كان التباطؤ في عملية إعمار الإبراج متعمّدًا لتذكير المواطنين والمقاومة بالكلفة العالية التي يستجلبها قرار خوض المواجهة مع الاحتلال (أ ف ب)

قضية

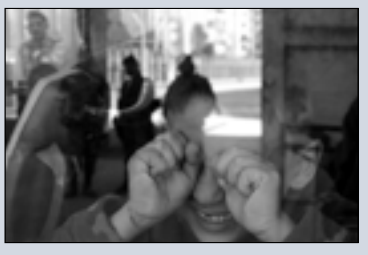

الأزمة تشجّع التبني غير الشرعي
الإتجار بالأطفال نحو الازدهار؟

6

سوريا

«داعش» يصعّد لنيْل مطالبه

11

اليمن

قوّات صنعاء vs «العمالقة»
إشغال لحماية مأرب والبيضاء

12

قضية اليوم

لا ضمانات أميركية جدّية للبنان والقاهرة
الغاز المصري مؤجل

بين القلق المصري والارباك اللبناني والشروط الاميركية، لا تزال قضية استجرار الغاز المصري إلى لبنان عالقة في انتظار تحقيق شروط كثيرة. الارباك يشمل ملف الكهرباء بكل تفاصيله، إذ إن موافقة البنك الدولي على تمويل شراء الغاز من مصر والكهرباء من الاردن، ومواصلة شراء الفيول من العراق، دونهما شروط أهمها رفع سعر التعرفة

(هيثم الموسوي)

رلى إبراهيم

قبل خمسة أشهر، بالتزامن مع وصول ناقلات النفط الإيرانية إلى مرفأ بانياس تمهيداً لنقل حزب الله المازوت الإيراني إلى لبنان، أبلغت السفيرة الأميركية دوروثي شيا رئيس الجمهورية ميشال عون قرار الإدارة الأميركية إعادة تفعيل اتفاقية استجرار الغاز من مصر إلى لبنان عبر سوريا. مذاك كثرت التصريحات اللبنانية والسورية والمصرية والأردنية والأميركية حول قرب توقيع الاتفاقية من دون أي تقدّم ملموس.

وكان الجانب المصري أبدى حذراً شديداً حيال المشروع وأبلغت القاهرة الجانبين اللبناني والأميركي إصرارها على الحصول على ضمانات أميركية وليس الاكتفاء بـ«رسالة تطمين» (comfort letter)، خشية أي انعكاسات سلبية على مشاريع الغاز المصرية.

كما نبّه المدير العام لمؤسسة كهرباء لبنان كمال الحايك، قبل أسابيع، إلى عدم وجود إعفاء أميركي واضح للبنان من أي عقوبات محتملة في حال الاتفاق مع مصر والأردن على جر الغاز والكهرباء عبر سوريا. وأبلغ هذه الهواجس إلى رئاسة الحكومة ووزير الطاقة وليد فياض، وإلى السفيرة الأميركية التي أجابت بأنها تضمن «رسالة تطمين لا أكثر».

غياب الضمانات الأميركية أدى إلى فرملة اندفاعة المصريين وتجميدهم للخطوات التي كانوا قد باشروا اتخاذها لتنفيذ المشروع الذي كان يفترض أن يزيد ساعات التغذية بدءاً من مطلع هذه السنة.

لقاءات وزير الخارجية اللبناني عبدالله بوحبيب في واشنطن هذا الأسبوع اظهرت أن تردّد القاهرة لم يجر تبديده بعد من أن تطاولها مفاعيل «قانون قيصر» الذي تفرض الإدارة الأميركية بموجبه عقوبات على كل من يتعامل مع الحكومة السورية. كما أنها غير مطمئنة إلى «رسالة التطمين» التي نقلها إليها بالبد الموفد الأميركي عاموس هوكشتين حول استثنائها من العقوبات.

هذا الموضوع كان على أجندة النقاشات التي أجراها بوحبيب مع مسؤولين في مجلس الأمن القومي الأميركي ووزارة الخارجية. وبحسب المصادر، أبلغ بوحبيب منسق مجلس الأمن القومي الأميركي لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بريت ماكغورك، «أن مصر لم تتجاوب بعد تلقيها رسالة التطمين الصادرة عن وزارة الخزانة حرصاً منها على عدم المخاطرة بخسارة دورها كمحور لتصدير الغاز الخزانة الأميركية إلى كل من مصر والأردن، مشيراً إلى أن هوكشتين سيتواصل قريباً مع رئيس مجلس الوزراء المصري ومؤكداً أن إدارته أبلغت البنك الدولي بدعمها لاتفاق استقدام الطاقة واعتباره استراتيجياً. وهو لا يرى أي عقوبات مستقبلية قد تفرض على أي من هذه الدول.

غير أن زيارة شيا لرئيس الحكومة نجيب ميقاتي، أمس، أظهرت أن الولايات المتحدة لا تزال بحاجة إلى استيضاحات من الدولة اللبنانية ومؤسسة كهرباء لبنان لم تحصل عليها بعد. وعلمت «الأخبار» أن الكتاب الذي سلمته شيا إلى ميقاتي لم يتضمن موافقة أميركية على منح لبنان استثناء من مفاعيل «قانون قيصر»، بل طلب إلى لبنان، أو بالأحرى مؤسسة كهرباء لبنان، الإجابة عن أسئلة توضيحية تعنى بكل تفاصيل الاتفاقية من اسماء الشركات التي سيتم التعاون معها إلى عقود الصيانة إلى كل تفصيل يتعلق بعملية وصول الغاز إلى لبنان. وعلى ضوء هذه المعلومات، ستبني الإدارة الأميركية موقفها حول منح لبنان موافقة واضحة في هذا الصدد.

في السياق نفسه، قالت مصادر وزارة الطاقة إن «رسائل التطمين التي أرسلها الأميركيون إلى مصر ليست كافية للسلطات المصرية التي تسعى للتأكد بشكل تام من كل ما يتعلق بهذه العملية التي يتطلب إنجازها مراحل مختلفة». ولفتت إلى أن السلطات المصرية «تلقّت رسالة تطمين، لكن الاتفاق النهائي فيه كثير من التفاصيل يفترض تحديدها، وأن يعرض الأمر على الأميركيين لمنح الجانب المصري التطمينات أو الاستثناءات التي يطلبها لمباشرة العمل». وحالياً، يعمل وزير الطاقة وليد فياض على إنجاز الاتفاق النهائي الذي يتطلب البتّ بأمور أساسية من ضمنها طبيعة الاتفاق بين لبنان ومصر عبر سوريا. إذ إن الغاز المصري سيأتي إلى سوريا، ومن نقطة مختلفة من سوريا سيتم ضخّ غاز سوري بديل إلى لبنان، ما يثير تساؤلاً أساسياً: هل يشتري لبنان الغاز من سوريا أم من مصر؟ ومن المسؤول عن وصول الكميات إلى لبنان؟ هذه الأسئلة وغيرها جرى حسمها في الأيام الأخيرة بأن تكون المسؤولية بين مصر ولبنان مباشرة، فيما يتم العمل على إنهاء بعض النقاط العالقة في الاتفاق الذي يضم أيضاً طرفاً إضافياً هو البنك الدولي الذي سيموّل كلفة شراء الغاز. على أن يعرض الاتفاق النهائي على الولايات المتحدة للاستحصال على استثناء نهائي من عقوبات قيصر تخص الجانب المصري تحديداً.

وبحسب مصادر وزارية لبنانية، فإن أي تقدم نحو توقيع اتفاق بالأحرف الأولى على اتفاق مع مصر، ترزّو بموجبه لبنان بـ650 مليون مكعب من الغاز سنوياً لمدة 18 عاماً بتمويل من البنك الدولي في العامين الأولين، مرهون بشرطين:

الأول، أن يتفق لبنان مع مصر على شراء كمية من الغاز تضمن القاهرة وصولها إلى لبنان، ولا أن تترك أمر التبادل مع الغاز السوري لمفاوضات لبنانية – سورية. وهي عملية تفرض على الجانب المصري عقد اتفاقية واضحة مع السوريين لضمان الكمية والنوعية وآلية إيصال الغاز إلى النقطة اللبنانية المحددة في دير عمار في الشمال.

الثاني، أن يباشر لبنان استعداداته لتلبية شروط البنك الدولي الذي يفترض به توفير التمويل لهذه العملية، ولصفقة شراء الكهرباء الأردنية عبر سوريا.

ويبدو واضحاً أن لدى البنك الدولي شروطاً أساسها إقرار الحكومة اللبنانية خطوات عدة في قطاع الطاقة والكهرباء ورفع سعر التعرفة لضمان تسديد لبنان الديون المتوجبة عليه ولو لاحقاً.

وفي هذا المجال، لفت مصدر وزاري إلى «أن المسؤولين لا يشرحون للبنانيين أن الكهرباء المفترض توفيرها، سواء عبر القبول العراقي أو الغاز المصري أو الكهرباء الأردنية، ستكون مقابل مبالغ مالية كبيرة، وأن تأمينها لا يتم من خلال الديون فقط، بل من خلال إعادة تنظيم أسعار الكهرباء في لبنان». وأوضح أن لبنان ملزم بسداد 500 مليون دولار للعراق ثمناً للفيول الذي يوفر 3 ساعات تغذية، وسيكون عليه سداد نحو 250 مليون دولار ثمناً للغاز المصري الذي يفترض أن يوفر 4 ساعات تغذية، ونحو مئة مليون دولار للأردن بدل ساعتي تغذية في اليوم. ما يعني أن على لبنان توفير نحو 850 مليون دولار بدل أقل من عشر ساعات تغذية يومياً. وهذه إذا ما أضيفت إلى حاجات مؤسسة كهرباء لبنان لتحديث الشبكة والتشغيل، فإننا نتحدث عن مليار دولار سنوياً». لذلك، وفقاً للمصدر نفسه، يدور نقاش حالياً بين رئيس الحكومة ووزيري الطاقة والمالية للبت في مشروع موازنة وزارة الطاقة وحاجات مؤسسة كهرباء لبنان، من أجل إدراج هذه الأرقام في موازنة 2022.

> **البنك الدولي يشترط رفع التعرفة وشيالم تسلّم ميقاتي موافقة تامة**

... وانخفض سعر الدولار. لم يعد الخبر جديداً، بل قصة يجري تداول نتائجها هنا وهناك. الانخفاض سببه واضح ومعروف، إذ إن مصرف لبنان بات يضخّ كميات هائلة من الدولارات مقابل شراء الليرات من السوق. هي ليست «هندسات»، بل «سعدنات» خلقت طلباً مصطنعاً على الليرة ورفعت سعرها مقابل الدولار. لكن، ستنكشف الحقيقة يوم يتوقف مصرف لبنان عن تبذير كل هذه الدولارات. الحقيقة لا سعر لها، سوى أن هناك أسعاراً متعدّدة لسعر الصرف يجري من خلالها تحفيز المضاربات. مهما قيل غير ذلك، ومهما انخفض الدولار أو ارتفع، فإن ضخّ الدولارات في حلقة المضاربات أمر عبثي في السياسات النقدية. قد يكون له هدف سياسي يتعلق بتقديم الدعم لرئيس الحكومة نجيب ميقاتي وسائر زعماء الطوائف في لبنان، إلا أن دعماً كهذا يأتي على حساب تبديد الذخيرة الأخيرة التي يملكها لبنان من أجل النهوض. فحاكم مصرف لبنان، رياض سلامة، الذي ابتدع هذه الهندسات أو «السعدنات»، قالها قبل أيام: نحتاج إلى ما بين 12 مليار دولار و15 ملياراً من أجل النهوض. قالها بلا خجل. قالها وهو يوزّع الدولارات التي جمعها من السوق، وبعدما بدّد قبلها نحو 19 مليار دولار.

عملياً، ما الذي يحصل انطلاقاً من التعميم 161 وتعديلاته؟ مصرف لبنان يبيع المصارف الدولارات على سعر «صيرفة». كان الأمر محصوراً بـ«كوتا» مخصصة لها من مصرف لبنان، لكن جرى توسيع هذه العملية لتصبح بلا حدود. أما المصارف فتبيع الدولارات للزبائن باستنسابية مطلقة على سعر «صيرفة». غالبيتها التزمت بتحويل رواتب موظفي القطاع العام إلى دولارات، ثم حوّلتها على سعر 8 آلاف ليرة وأخذت الناتج من السوق مقابل تسديد الدولارات للزبائن على سعر «صيرفة» أيضاً. هذه العملية مقابل تسديد الدولارات للزبائن على سعر «صيرفة» أيضاً. منها من منح موظفي القطاع الخاص عمليات من هذا النوع، ومنها من رفض. بعضها وافق على استعمال الليرات المدفوعة للزبائن وفق التعميم 158 لتحويلها إلى دولارات ورقية بالآلية نفسها... لكن بعد إلغاء سقوف حصص الدولارات التي كان يوزّعها مصرف لبنان على المصارف، أصبحت مصلحة المصارف أكبر في شراء كميات كبيرة من الليرات الورقية في السوق مقابل تسديد الدولارات للزبائن على سعر «صيرفة». وهذا يعني أن من اشترى الشيكات سيحاول إعادة تدويرها إلى دولارات لتحقيق الأرباح، أو تحويلها إلى ليرات من تجّار آخرين يخزّنون الليرات... كل طرف في هذه اللعبة سيحاول القيام بما يلزم لتحقيق ربح من بيع الليرات الورقية أو الدولارات الورقية أو حتى الشيكات. هذه الحلقة هي عملية مضاربة متواصلة لا تتوقف طالما أن مصرف لبنان مضطر أن يضخّ المزيد من الليرات في السوق لتسديد رواتب موظفي القطاع العام ولزوم حاجات الدولة، فضلاً عن أنه كان قد أشبع السوق ضخاً ليصبح حجم الكتلة النقدية المتداولة 46 ألف مليار ليرة في نهاية السنة الماضية. كمية هائلة من الليرات في السوق لن يستطيع المركزي السيطرة عليها مهما ضخّ مقابلها دولارات، إذ بمجرّد وجود تعددية أسعار الصرف التي خلقها مصرف لبنان، يصبح هو المضارب الأكبر على الليرة، ولكن ليس المضارب الأوحد، بل سيكون إلى جانبه مضاربون قادرون على التحكّم بمصير سعر الصرف حالياً، انخفض السعر، لكن الخشية مما سيحصل حين يتوقف العمل بالتعميم 161 وننتقل إلى «سعدنات» أخرى.

(الأخبار)

تقرير

طلب مصطنع على الليرة: «سعدنات» السياسة النقدية

مقالة

هل يحق للمجلس الدستوري تفسير الدستور؟

جهاد اسماعيل *

إثر كلّ خلافٍ بين أركان المؤسسات السياسية على مادة دستوريّة معيّنة، يُثار النقاش حول هوية الجهة الّتي بمقدورها تفسير الدستور، على خلفية إنتفاء النّصّ الحاسم والواضح بشأن المرجعية المختصّة في التفسير، سيما أن وثيقة الوفاق الوطني، تحت عنوان «الإصلاحات الأخرى» - البند الثاني، نصّت على صلاحية المجلس الدستوري في تفسير الدستور، قبل أن يُسقط المجلس النيابي، كسلطة تأسيسية، هذه الصلاحية بموجب المادة 19 من الدستور، ويضع، بالتالي، برنامج المجلس الدستوري الواجب إتباعه عند التقدّم بمراجعة أمامه، ما أدّى إلى انضمام الفقهاء في القانون الدستوري الى قافلة الانقسام بين مؤيد ورافض، من دون أن يجحب تعدّد الاتجاهات، برأينا، المنطق الدستوري الّذي يؤكد صلاحية مجلس النواب لا المجلس الدستوري في تفسير الدستور، تبعًا للمسوّغات التالية:

- بالعودة الى نصّ المادة 19 من الدستور، نجد أنّ المشرّع الدستوري حصر صلاحية المجلس الدستوري في مراقبة دستورية القوانين والبتّ في الطعون الانتخابية، وإلا لو أراد المشرّع منح المجلس الدستوري صلاحية تفسير الدستور، كما ورد في وثيقة الوفاق الوطني، كان قد أعرب عن ذلك صراحةً، على قياس سائر النصوص الدستوريّة الّتي تعدّد صلاحيات المؤسسات الدستوريّة (رئيس الجمهورية، مجلس الوزراء...)، على اعتبار أن ما يُعتدّ به هو النصّ الدستوري حصرًا. ولا يمكن، والحال هذه، الارتكاز الى نصوص لا تتمتّع بقوة دستورية ملزمة. وبالتالي، ما ورد في وثيقة الوفاق الوطني، في رأينا، مجرد قواعد إرشادية لا تقريرية، حيث تتطلب تدخلاً من المشرّع بموجب نصوص لها قوة الزامية.

وهذا ما أكدّه المجلس الدستوري في العديد من قراراته، أهمّها: القرار رقم 2002/1 تاريخ 2002/1/31، والقرار رقم 2002/2 تاريخ 2002/7/3، والقرار رقم 2005/1، والقرار رقم 2014/7 وغيرها من القرارات، وخلُص إلى التأكيد أنّه: «لا يُعتبر ما وَرَدَ في وثيقة الوفاق الوطني بمثابة أحكام دستورية ومُلزمة، إلّا بقدر ما ورد منها في مقدّمة الدستور أو في مَتنه».

- إنّ الدستور الفرنسي، وهو أحد المراجع الاساسية للتشريع اللبناني، خصّص بابًا خاصًا للمجلس الدستوري يتناول في أحد موضوعاته صلاحيات المجلس، وتحديدًا في المواد: 58، 59، 60، مشفوعًا باجتهادات صادرة عن المجلس الدستوري نفسه، لا يُستشف منها أيّ استنتاج أو حكم يدّل على صلاحية المجلس الدستوري الفرنسي في تفسير الدستور، وإن كان للمجلس الفرنسي، كما اللبناني، الحق في تفسير الدستور في معرض مراجعة مقدّمة امامه، على خلاف النموذج الألماني الّذي يتيح للمحكمة الدستورية صلاحية تفسير الدستور وذلك في نصّ صريح وواضح.

-يميّز الفقيه النمساوي هانس كلسن، وهو أحد أهم المؤسسين لنظرية العدالة الدستورية في أوروبا، بين التفسير العلمي والتفسير الأصلي، فالتفسير العلمي أو الفقهي هو التفسير الذي يصدر عن فرد أو جهة معيّنة، لكنه بغضّ النظر عن قيمته العلمية غير ملزم. أما التفسير الأصلي فهو التفسير الذي يصدر عن جهة خوّلها القانون، صراحةً، تفسير النص، وبما أن الدستور اللبناني، الذي كان قد حدّد صلاحية المجلس الدستوري، لم يُعط هذا المجلس صلاحية التفسير، يبقى بأن كلّ تفسير يُدلي به المجلس الدستوري هو تفسير علمي لا أصلي.

- يطرح الفقيه كلسن نظريته المشهورة عن «المشرّع السلبي» بالمقارنة مع «المشرّع الايجابي»، أي البرلمان. اذ أن مهمة الأول تمنع البرلمان صلاحية الامتناع عن اقرار القانون الّذي يتعارض مع الدستور، أما في الثاني، فالبرلمان صاحب الصلاحية في وضع القواعد القانونية التي تتناغم مع الدستور، ما يعني أن البرلمان، وفق هذه النظريّة، هو حارسٌ للدستور، لذا، كيف بمقدور من يُحيي أو يحجب المسار التشريعي انطلاقًا من الدستور أن لا يتولّى تفسير الدستور؟

وقد يُرَد على هذا التحليل بالقول إن المجلس الدستوري هو أيضًا يحرس الدستور، حيث يجب، في نهاية المطاف، منحه صلاحية التفسير أسوةً بالبرلمان، لكن، في رأينا، هذه الفرضية غير سليمة، لأن صلاحية المجلس الدستوري، دستوريًا، لا تنهض الا في حالة التقدّم بمراجعة أمامه، وهو، بالتالي، لا يحرس الدستور، عفوًا، الا إذا قررت الجهات - المحدد لها حصرًا بحق المراجعة - تنبيهه الى النقاط التي تخالف النص الدستوري، فمهمة حماية الدستور ليست انتقائية أو جزئية أو موسمية.

- إنّ وظيفة النظريّة العامة للعدالة الدستوريّة - الرقابة على دستورية القوانين من قِبل محكمة دستورية خاصة - تتجلّى في تأمين السمو المادي للدستور، أيّ حماية ما يحتويه الدستور من حقوق وحرّيات عامة، عبر إبطال أيّ قانون يخالف الدستور، وليس في إعلان ما يحتويه الدستور، ما يُظهر المجلس الدستوري في موقع سياسي لا قضائي لم يُرده آباء الرقابة على دستورية القوانين على الاطلاق، علاوةً على أن مجلس النواب - ولو كسلطة تأسيسية - في مقدوره، عملاً بالدستور اللبناني، أن يعدّل الدستور، أيّ في تغيير المحتوى للنصوص الدستورية، لذلك تنبثق عن هذه الصلاحية تساؤلات مشروعة: كيف يمكن أن يمتلك مجلس النواب صلاحية تغيير أو تعديل محتوى النصوص، ولا يحقّ له تفسير هذا المحتوى! فهذا منافٍ للمنطق على إطلاقه وخصوصه.

- للدلالة على الطابع السياسي- التشريعي لمهمة «تفسير الدستور»، أناط الدستور الفرنسي، في عهد الامبراطورية الثانية، عام 1852، هذه الصلاحيّة الى مجلس الشيوخ من أجل أن يتولّى حماية وحراسة الدستور، ولو الى جانب صلاحية مراقبة دستورية القوانين، في حين أن التفسير - في ماهيته - هو عمل يضع حيز التنفيذ المفاعيل الحقوقية الّتي أرادها المشرّع(نيّة المشرّع) على ضوء روح النظام القانوني أو على ضوء تطور المجتمع وبنيته، وهذا ما لا يدخل في صلب مهام القاضي على اطلاقه، وهو ما يتم التعبير عنه بالتالي: «إن السلطة التي تصدر النصّ هي المخوّلة بتفسيره».

- بالعودة الى طريقة تعيين أعضاء المجلس الدستوري، عملاً بقانون إنشائه، نجد بأن مجلس النواب اللبناني يعيّن نصف أعضاء المجلس، والنصف الآخر تعيّنه الحكومة المنبثقة - نظريًا وعمليًا - عن مجلس النواب، وبالتالي إن وظائف المجلس الدستوري، المحددة، أصلاً، في الدستور، تتعرّض للتقويض، نتيجة طغيان الاعتبارات الطائفية - السياسية على القانونية، فكيف الحال في وظيفة لم يُدرجها الدستور صراحةً، ما لا يضمن الحيادية أو الاستقلالية الّتي كانت عاملاً هامًا في نشوء المجالس الدستورية، سواء في تأمين التوازن بين السلطات، أو في ابطال القوانين المتعارضة مع الدستور، بالاضافة إلى أن التوّسع في تفسير صلاحيات المجلس الدستوري، ومنحه، استطرادًا، صلاحيات اضافية، يورّث للمجلس، اكثر فأكثر، المشاكل السياسية والطائفية السائدة في السلطات الدستورية اللبنانية، والشواهد حاضرة وكثيرة!

وعليه، إنّ استحداث صلاحيات اضافية للمجلس الدستوري، وحجبها عن البرلمان، وهو، عمليًا، مصدر «الدستوري»، ليس مطلبًا ملّحًا يستجيب لإرادة ونيّة المشرّع الدستوري، بقدر ما هو استجابة للمصالح السياسية، بدلًا من التفرّغ للصلاحيات المناطة له، انسجامًا مع نظرية «العدالة الدستورية» الّتي تهدف - اساسًا - الى حماية الحقوق والحريات العامة، لا في حماية تفسير القوى السياسية المُرسفة في صنوف الانقسامات السياسية!

* أستاذ الأعمال التطبيقيّة في القانون الدستوري في الجامعة الاسلاميّة/ كاتب وباحث في القانون الدستوري.

في الواجهة

انتخابات رئاسة الجمهورية هل تتقدّم الانتخابات النيابية؟

مع ان لكل منهما مهلة منفصلة عن الاخرى، الا ان توقيتهما المتقارب جعل تداخلهما حتمياً. الانتخابات النيابية، في الزمن، تسبق الانتخابات الرئاسية. لكن حسابات السياسة وموازين القوى تفرض إحياناً قلب الاولويات، دونما انتظار إذن من الدستور او القانون

نقولا ناصيف

تعذّر الحوار الوطني الذي دعا اليه رئيس الجمهورية، فاوصدت فكرة تسوية ما - وإن صغيرة موقتة - تسبق الانتخابات النيابية العامة. كذلك يستمر مجلس الوزراء معطلاً لإحكام الحيلولة دون أي فرصة جديدة لتوافق يجنّب الافرقاء الذهاب الى انتخابات في أيار محفوفة بالاخطار والمفاجآت. أخفقت الرسالة التي وجهها «يوم الغضب» الخميس الفائت لاستخدام الاشارات الامنية، وإن بمظاهرها البدائية الساذجة قبل تطويرها، على طريق الاستحقاق، ما يجهر الاطراف به هو اصرارهم على الانتخابات، وما يحجبونه فعلاً هو سبل التخلص منها. ما يُرام كلفة ضئيلة قبل ان يعوز الجميع المعني، بقلق حيال ما ينتظره في ايار، الكلفة الباهظة.

ليس غريباً ان الخيار الاخير المفترض ليس دائماً الاخير بالضرورة. احياناً يُبدا به كحادثة الطبونة، وفي احيان اخرى يُستمهَل متدرّجاً على طريق تعطيل حكومة الرئيس نجيب ميقاتي. مع اقتراب موعد انتخابات 15 أيار، تضيق الرهانات والتوقعات. كلما دنت اكثر، تصعب الخيارات الآمنة ويذهب الجميع المعني - ما داموا يلتقون على هدف واحد - الى الخيارات الخطيرة.

لا احد يتوهم في انتخابات 15 ايار انها تشبه ما سبقها، منذ عام 2005 على الاقل. كانت تلك السنة الاولى والمرة الاولى اجرى فيها اللبنانيون بانفسهم، بلا وصي، انتخابات نيابية عامة، بعدما اعتادوا عليها منذ عام 1992 بين يدي سوريا.

مبعث القلق على الاستحقاق المقبل انه لا يجري في ظل انقسام الاطراف ما بين معسكرين، كقوى 8 و14 آذار، على غرار ما حدث عام 2005، واضطرار الثنائي الشيعي الى ابرام تحالف رباعي مع خصميه الدرزي والسنّي حينذاك، لمنحهما الغالبية النيابية، قبل ان يكتشف رابحوها انها تساوي صفراً ما ان تكتوا بعد وقت قليل على الانتخابات تعهداتهم حيال التحالف الرباعي.

لن تكون أيضاً على صورة انتخابات 2009 التي ابرزَت فعلاً، غداة اعلان المحكمة الدولية حينذاك، وطأة الصراع على الغالبية النيابية، مع ان المطاف انتهى بها الى الفريق الرابح نفسه قبل اربع سنوات، وهو قوى 14 آذار. مجدداً بَانَ عدم جدوى امتلاك الفريق المناوىء للثنائي المتفاوتة الاهمية وشعبياتهم المتباينة والمطعون فيها، يكاد لا يساوي قلق حزب الله الذي يختبر هذه المرة أكثر من امتحان مصيري له، لم يسبق ان ادركه قبلاً. لم يخشَ في انتخابات 2005 من خسارته الغالبية، وكان يملك حينذاك فائضَ قوة هما سلاح المقاومة في يده، والرئيس اميل لحود على رأس الجمهورية الى يمينه الى سنتين اخريين. في انتخابات 2009 كانت اجريت لسنّة خلت انتخابات رئاسة الجمهورية، وحلّ فيها الرئيس ميشال سليمان على انه توافقي من دون ان يكون الحزب جرّبه كفاية حتى ذلك الحين، فتصرّف الرئيس كحليف للحزب، وفي الوقت نفسه هو حليف الحريري في ذروة التسعير السنّي - الشيعي، قبل انقلابه على الاول. اذذاك اختار حزب الله وضع يده على الغالبية النيابية بدءاً من عام 2011 واختبرها، واكتشف انها غير كفيّة بالقدر الذي توقّع ما لم تقترن بظهير كالذي كانه لحود.

(ارشيف ـ بلال جاويش)

عامذاك كان جرس الانذار الاول الى المهمة الجديدة المنوطة بحزب الله خارج لبنان، بدءاً بالحرب السورية، ومن ثم الامتداد الى ما هو ابعد منها. وحدهما الرئيس الظهير والغالبية النيابية المُخضعة للسلطات والمؤسسات كفيلان بحماية موقعه في الداخل ودوره في الخارج.

ما كان يحتاج اليه حتى عام 2016، هو بالفعل ما حصل عليه حتى السنتين التاليتين: رئيس للجمهورية حليف له وصلب الى جانبه هو عون يذكّر بتجربته لحود ولا يكرر له حتماً تجربة سليمان بالنسبة اليه على الاقل، وغالبية نيابية بلغت 71 نائباً بفضل صناديق 2018.

ذلك ما يحتاج اليه حزب الله منفرداً كما كثنائي شيعي: الاحتفاظ بالغالبية النيابية الحالية، والاضطلاع بدور مشابه لما فعله ما بين عامي 2014 و2016 من اجل انتخاب الرئيس الظهير.

ليس عويصاً فهم مصدر القلق: سبعة نواب من الحلفاء يفقدهم حزب الله بخسر من خلالهم الغالبية المطلقة في مجلس النواب، وتربكه على ابواب الاستحقاق الاهم وهو انتخابات الرئاسة. واقع الامر، ان ما يحتاج الى المحافظة عليه، هو هذا الكيس الثمين المسمّى غالبية نيابية، سواء لتعطيل الانتخابات الرئاسية او لدفعها الى التحقق، دونما ان يفتقر الى المرشح الظهير. عشية انتخابات 2016 كان عون الى جانبه، بيد انه افتقر الى الغالبية المطواعة والمنصاعة. كذلك في استحقاق 2022 المرشح الظهير الى جانبه. اما ما يتمسك به حتى الوصول الى الموعد المقبل، فهو الغالبية النيابية.

ربما في هذا السبب يكمن الاعتقاد المتنامي يوماً بعد آخر، لدى الحزب وحلفائه المعلنين والخفيين، في الظاهر قليلاً وفي السر كثيراً، ان انتخابات رئاسة الجمهورية تتقدّم الانتخابات النيابية.

ان القاسم المشترك الذي جمع بينها، هو الطعن في الظهر: في الاولى 2005 كان يوم 5 ايار 2008، وفي الثانية 2009 يوم استقال الوزراء الشيعة واسقطوا الحريري وحكومته في 12 كانون الثاني 2011، وفي الثالثة 2018 يوم انهيار الهيكل على رؤوس الجميع بدءاً من 17 تشرين الاول 2017 وتبادلهم جميعاً بلا استثناء الطعنات في الظهر. وقد تكون ابرز علامات الطعنات هذه، ان كلاً من الافرقاء هؤلاء حلفاء الماضي، ومعظمهم معمّر منذ انتخابات 1992 ثم باتوا اسياد انفسهم، يفتقر الى حليف ذي صدقية آمنة موثوق به يخوض معه انتخابات 2022. لم يكن رفض الحوار الوطني سوى واحدة من الاشارات المباشرة، بعضهم الى بعض وليس الى رئيس الجمهورية صاحب الدعوة فحسب، بأن احداً ليس جاهزاً لأن يتنازل وهو على ابواب استحقاقين متتاليين، نيابي ثم اخطر منه رئاسي.

قلق الافرقاء جميعاً، باحجامهم الشيعي، في ظل فائض قوته، غالبية نيابية دستورية تساوي بدورها «فالصو» في أوان احتدام الشارع وانقسام السلطة. تلك الغالبية التي اتاحت لقوى 14 آذار ان تحوز أكثرية مماثلة في حكومة 2009، حملها على ان تتحقق بعد 14 شهراً من ان الاقلية اقوى منها باساً فأسقطت، بالدستور، حكومة غالبية قوى 14 آذار بالثلث+1.

لن تكون انتخابات ايار اخيراً على صورة انتخابات 2018، بأن تحدث في مطلع عهد جديد، وفي ظل تسوية احالت الجميع حلفاء الجميع، بفروق ضئيلة، ومن خلال كتل تساوي احجام مبرمي تسوية 2016. الرابحون الثلاثة كانوا الرئيس ميشال عون على رأس الدولة، والرئيس سعد الحريري على رأس حكومة - او حكومات متتالية - ستعمّر عمر العهد، وحزب الله باطمئنانه الى ظهيرين مسيحي وسنّي يحميان سلاحه ويتغاضيان عن دوره الاقليمي. كانت تلك الفرصة النادرة التي توقّع حزب الله ان يصل اليها يوماً، كي يحكم البلاد من خلال حلفائه دونما ان يبدو هو في الصدارة، وان يتيقن هؤلاء الحلفاء ان مواقعهم مصونة لدى الحزب - والاصح لدى الثنائي الشيعي عندما يتقاسم الادوار - في الازمات الداخلية.

لعل مفارقات الدورات الثلاث الماضية من الانتخابات النيابية،

> **7 نواب من الحلفاء يخسرهم حزب الله في انتخابات 2022 يفقدونه الغالبية النيابية**

تقرير

زوار الرياض: الانكفاء عن الشأن اللبناني مستمر

بين السعودية والرئيس سعد الحريري تقاطع يتعلق بعنوان الانسحاب من لبنان. الاولى لا تريد ان تتورط في السياسة اللبنانية مالياً او سياسياً. والثاني بات اقرب إلى إعلان موقفه من الانسحاب من الساحة اللبنانية

هيام القصيفي

بعد شهر، تحلّ ذكرى اغتيال الرئيس رفيق الحريري. في العادة، يُنظر الى المناسبة كحدث سياسي، يتضمّن كلمة للرئيس سعد الحريري تحمل، بحسب الظروف والتطورات السياسية، دلالات معبرة عن علاقة تيار المستقبل بحزب الله أو القوات اللبنانية أو قوى 14 آذار أو التسوية الرئاسية. هذه السنة تتقاطع الذكرى مع حدث مرتقب يتعلق بموقف الحريري من خوض الانتخابات أو إعلان انسحابه من الحياة السياسية، وهو الأكثر ترجيحاً حتى الآن، ومصير تيار المستقبل والإرث السياسي لعائلة الحريري. ورغم أن باب الترشيحات لن يُقفل قبل منتصف آذار المقبل، إلا أن الذكرى قد لا تمرّ من دون حدث سياسي يفرض نفسه على عائلة الحريري وتيار المستقبل وموقعه في السياسة العامة، سواء جرت الانتخابات النيابية أو لم تجر. ومن شأن هذا الحدث أن يتحوّل مفترق طرق أساسياً، ليس فقط لجهة التموضع الانتخابي والتحالفات، بل أيضاً لمعرفة موقف الرياض من التحولات المرتقبة.

فالحريري يطوي، في 14 شباط، 17 سنة في الحياة السياسية، دفع فيها أثماناً باهظة، سياسية ومالية وشخصية، وخسر خلالها كثيراً من الحلفاء وربح كثيراً من الأعداء. وهو يكاد يكون الزعيم الأول في التاريخ الحديث، حتى الآن، الذي يلوّح بالانسحاب من الحياة السياسية، بغض النظر عن ظروفها المحلية والإقليمية، فيما يستكمل السياسيون الآخرون لعبة التمسك بالكرسي السياسي حتى آخر رمق. وهو، كما يرجّح بعض عارفيه، لن يخرج بسهولة ومن دون «تصفية حسابات» مع كل الذين ساهموا في إحراجه لإخراجه، رغم أن بعض المحيطين به من الحلقة الأقرب، ممن تركوه أو بقوا الى جانبه، يتحمّلون مسؤولية ما جرى معه، لكن مهما يكن قرار الحريري، بحسب أوساط مطّلعة على محادثات جرت أخيراً خارج لبنان، فلن يكون له علاقة بالرياض التي لا تزال على موقفها منه، وليست على تماس مع كل ما يجري داخل وسط الحريري الأقرب والأبعد.

وبخلاف كل الرهانات التي تعوّل عليها بعض القوى السياسية، سواء الحليفة للسعودية أو التي تخاصمها، فإن الرياض، بحسب زوار للعاصمة السعودية أخيراً، لا تزال منصرفة عن الوضع اللبناني. ولن يغيّر قرار الحريري بالبقاء أو الانسحاب من الحياة السياسية في هذه المعادلة شيئاً حالياً، كما لم تبدّل زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للرياض من القرار المتخذ على أعلى مستوياتها بعدم التدخل حالياً في الوضع اللبناني، عدا عن وعد بمساعدة إنسانية لم تترجم على الأرض بعد، وإن أكدتها باريس أخيراً، علماً بأن الزيارة التي توصف في بعض الدوائر الغربية بـ«الفاشلة»، لم تنجح إلا في فكّ أسر الرئيس نجيب ميقاتي للحظات، من دون أي رهان على تبديل الموقف من حكومته أو من لبنان ككل، رغم كل الخطوات الأخيرة التي قام بها رئيس الحكومة.

> **مهما يكن قرار الحريري، بالبقاء أو بالانسحاب، فلن يغيّر ذلك في موقف الرياض منه**

من ينتظرون الرياض اليوم نوعان: خصومها الذين يراهنون على أنها ستردّ حتماً على خطوات لبنانية كما جرى في موضوع مؤتمر المعارضة السعودية، وقبلها كلام وزير الإعلام المستقيل جورج قرداحي، على افتراض أن خطوات من هذا النوع قابلة للصرف والاستثمار محلياً. أما النوع الثاني فيضمّ أيضاً نوعان: أحدهما ينتظر موقفاً سياسياً حاسماً لجمع الحلفاء في خوض الانتخابات، وهم يرتضون حتى بإبحاء غير مباشر. والثاني ينتظر تدفق الأموال السعودية قبل الاستحقاق المذكور وهذا ينطبق على بعض قوى وشخصيات سياسية وإعلامية.

حتى الآن، كما تقول معلومات مطّلعين على موقف الرياض، لا قرار بتمويل حملات انتخابية، ولا قرار رفيع المستوى بدفع أموال بالمفرّق، وإن كانت هناك جهات تعد نفسها أو تعد المحيطين بها بتحصيل مساعدات مالية. أما ارتباط شخصيات من هنا وهناك ببعض الجهات وتقاضي أموال وتمويل حملات إعلامية أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي فهو ليس قراراً رسمياً، بل من مخلّفات السياسات الماضية لشخصيات ليست من الصف الأول ولا تنفّذ تعليمات محددة. هذا لا يعني أن الرياض تقفل أبوابها أمام قاصديها ولا سيما من شخصيات تثق بها وتحترم رأيها وموقفها، وهي أصبحت معدودة، علماً بأن بعضاً منها لم يطلب أي مساعدة مالية ويرجح أنه لن يطلب منها مستقبلاً. لكن أي مساعدة مالية محتملة، لن تشكل حالة تعبئة سياسية للمساهمة في خوض الانتخابات وتمويل حلفائها كما جرى سابقاً.

كل ذلك يؤدي الى خلاصة، وهي أن الرياض لا تزال على صلة بحلفاء تعرفهم سلفاً وتعرف مواقفهم. لكن ذلك لم يعد محصوراً بالكلفة المالية ولا بصرف شيكات من دون حساب، وهو لن يبدّل حرفاً في تعاطيها مع الانتخابات والوضع اللبناني المنشغلة عنه الى حدّ غير مسبوق. أما ما بعد الانتخابات فحديث آخر، وفقاً للنتائج ولمسار الأوضاع الداخلية واتجاهاتها.

علم وخبر

أفرام يبحث عن مرشح

رغم الإغراءات الكثيرة، لم يجد النائب المستقيل نعمة أفرام مرشحاً جدياً شريكاً له في جبيل بعد. فمع تجنب أفرام التفاهم مع قريبه النائب السابق وليد الخوري، تبدو خياراته الجبيلية محدودة بالمحامي أنطونيو فرحات (من مدينة جبيل) الذي اشتهر بواقعة قصر العدل مع النائبة ديما جمالي، ورئيس «المجلس الثقافي» في جبيل نوفل نوفل (من بلدة ترتج) الذي كان حزب الله ينوي ترشيحه على لائحته عام 2018. علماً أن تعثر إيجاد شريك جبيلي جدي له تداعيات على أي مرشح كسرواني، مهما بلغت قوته، لأن جمع جبيل وكسروان في دائرة واحدة يؤثر في الحاصل الانتخابي للائحة.

وحواط يكرر تحالفاته

يتجه عضو كتلة القوات اللبنانية النائب زياد حواط إلى تكرار التحالف مع المرشح فادي روحانا صقر الذي آمَن لنفسه وللائحة 481 صوتاً تفضيلياً في انتخابات 2018. وصقر من قرطبا، بلدة النائب السابق فارس سعيد ومعقله الانتخابي الأساسي.

مستشفى للقواتيين

يسعى حزب القوات اللبنانية إلى شراء مستشفى سيدة لبنان في جونيه لتلبية الحاجات الصحية لمحازبيه ومناصريه بعد ارتفاع الفاتورة الاستشفائية في المستشفيات والمراكز الصحية التي يتعاقد معها. ويرجح أن يتولى إدارة المستشفى، نائب القوات عن البترون الطبيب فادي سعد بعد قرار مغراب عدم ترشيحه لدورة ثانية.

التمديد شهراً لقائد اليونيفيل

في وقت واحد، تلقّى قائد قوات اليونيفيل ستيفانو دل كول الأسبوع الجاري خبري إصابته بفيروس كورونا، والتمديد لولايته شهراً إضافياً بدءاً من منتصف شباط المقبل. اللواء الإيطالي كان يتحضر لحزم حقائبه بعد ولاية طالت جبراً، لأكثر من ثلاث سنوات، بسبب الجائحة، علماً أن ولاية القائد عامان فقط. إصابة دل كول الغت احتفالاً تكريمياً دعت إليه بلدية معركة (قضاء صور) الاربعاء الماضي لمناسبة انتهاء مهامه. أما التمديد شهراً، فيعود إلى تأخر البت في الإجراءات البيروقراطية لتعيين خلف له في مجلس الأمن في نيويورك. ووفق المعلومات، فإن الأخير سيكون إسبانياً الجنسية خدم ضمن كتيبة بلاده التي تتولى قيادة القطاع الشرقي في منطقة جنوب الليطاني. وفي حال ثبت تعيينه، سيكون ثاني إسباني يقود اليونيفيل بعد البرتو أسارتا. علماً بأن الوحدة الإسبانية من أكبر الوحدات عديداً وحضوراً إلى جانب الوحدتين الإيطالية والفرنسية.

IBL BANK

دعوة الى انعقاد الجمعية العمومية العادية السنوية لمساهمي بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل.

إنّ مساهمي بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل مدعوون لحضور إجتماع الجمعية العمومية العادية السنوية التي ستنعقد في تمام الساعة الحادية عشر من قبل ظهر يوم الاثنين الواقع في ٢٠٢٢/٢/٧ في مركز المصرف الرئيسي الكائن في بيروت، الأشرفية، جادة شارل مالك، بناية الإتحادية العقارية ش.م.م.ل. للبحث والتداول في جدول الأعمال التالي:

١) تلاوة تقرير مجلس الإدارة عن أعمال السنة المالية المنتهية بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٣١ موضوع المادتين /١٠١/ و/١٦٣/ من قانون التجارة وتقرير مجلس الإدارة المنظّم وفقاً لأحكام المادة /١٥٨/ من قانون التجارة وتقرير مجلس الإدارة المنظّم وفقاً لأحكام المادة /١٥٢/ من قانون النقد والتسليف.

٢) تلاوة تقرير مفوضي المراقبة عن حسابات وأعمال المصرف للسنة المالية المنتهية بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٣١ كما وتلاوة تقريري مفوضي المراقبة المنظمين عملاً بأحكام المادتين /١٥٨/ من قانون التجارة و /١٥٢/ من قانون النقد والتسليف.

٣) المصادقة على البيانات المالية الإفرادية والمجمّعة المدقّقة المتضمّنة الميزانية العمومية وحسابات الارباح والخسائر العائدة لأعمال المصرف للسنة المالية المنتهية بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٣١ والموافقة على جميع الأعمال التي قام بها المصرف خلال السنة المالية المذكورة.

٤) تدوير حاصل أعمال المصرف عن السنة المالية المنتهية بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٣١ إلى السنة المالية اللاحقة (٢٠٢١).

٥) إبراء ذمة رئيس وأعضاء مجلس الإدارة عن جميع الأعمال التي قاموا بها خلال السنة المالية المنتهية بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٣١

٦) إعطاء التراخيص المنصوص عنها بموجب المادتين /١٥٨/ و/١٥٩/ من قانون التجارة والمادة /١٥٢/ من قانون النقد والتسليف.

٧) تحديد مخصصات وبدلات حضور أعضاء مجلس الإدارة للعام ٢٠٢١

٨) تسديد الفوائد المستحقة على سندات الدين المرؤسة ٢٠٢٥ Subordinated Bonds

٩) تعيين مدققي حسابات للمصرف لمدة ثلاثة سنوات.

١٠) أية أمور أخرى متفرّقة و/أو متفرّعة عن جدول الأعمال.

يحق لكل مساهم الإشتراك في الجمعية العمومية المذكورة أو انتداب أحد المساهمين لتمثيله.

كذلك، وعملاً بأحكام قانون التجارة وقانون النقد والتسليف، فإن نسخاً عن تقارير مفوضي المراقبة، تقارير مجلس الإدارة والبيانات المالية المدققة العائدة للسنة المالية ٢٠٢٠ ستوضع بتصرف المساهمين في مركز المصرف قبل خمسة عشر يوماً من موعد الإجتماع للإطلاع عليها وأخذ نسخ عنها عند الإقتضاء.

سليم حبيب
رئيس مجلس الادارة - المدير العام
بنك انترکونتيننتال لبنان ش.م.ل.

قضية

تبرز مخاوف جديّة من تحول لبنان ارضاً خصبة للإتجار بالاطفال، في ظل الانهيار الشامل وتحلل الدولة، ما يسهّل مثل هذه الممارسات، خصوصاً أن غالبية عمليات التبني المسجلة في لبنان منذ عقود تشوبها مخالفات قانونية

الأزمة تشجّع على التبنّي غير الشرعي
الإتجار بالأطفال نحو الازدهار؟

رضا صوايا

العيش في لبنان بات شاقاً لأغلب الأسر ما يدفع أعداداً متزايدة منها للجوء إلى الجمعيات طلباً للمساعدة، وصولاً إلى الاستعداد لترك أطفالها لدى المؤسسات التي تعنى برعايتهم، أملاً بأن ينعموا بظروف حياة لائقة. واقع قد يؤدي بكثيرين للوقوع فريسةً لسماسرة الحياة والاتجار بالأرواح.

تاريخياً، ليست تجارة التبني غير الشرعي للأطفال غريبة عن لبنان. عام 2019، وثّقه جمعية «بدائل»، في مؤتمر نظّمته بعنوان «التبنّي الدولي عبر لبنان: سيرة حرب منسية»، نحو 3500 حالة تبنّ سُجّلت في لبنان منذ خمسينيات القرن الماضي، 2% منها فقط وُثّقت بشكلٍ شفاف يبيّن جذور الطفل المتبنّى ومعلومات حول أهله البيولوجيين وتاريخ التبني وغيرها. فيما الغالبية العظمى من الحالات شابتها عمليات تزوير، أبطالها أفراد ينتمون إلى شبكة عنكبوتية واسعة متغلغلة في عدد من الدوائر الرسميّة والمؤسّسات والمهن.

الخبيرة الدولية في الرعاية البديلة مؤسّسة «بدائل»، زينة علوش، توضح أن «عمليات التبني كانت تجرى بشكل مقونن ولكن غير شرعي. إذ كانت تستند إلى وثائق مزوّرة كشهادة الميلاد وجواز السفر وإخراج القيد». وتلفت إلى أن «هذه الممارسات ليست محصورة بلبنان فقط، بل تتوافق مع الإطار العام لعمليات التبني الدولي التي تعتمد بمعظمها على التزوير وتجهيل الأم البيولوجية إلى حد بحيث يصبح البحث عنها من رابع المستحيلات».

بحسب علوش، فإن الأزمات الاقتصاديّة، تاريخياً، تسهم في زيادة ظاهرة التخلّي عن الأطفال حول العالم. تزداد الضغوط الحياتية على «الأمهات المنفردات» ما يدفعهن أحياناً إلى التخلي عن أطفالهن. كذلك تزيد العلاقات الجنسيّة غير المحميّة في فترة الأزمات الاقتصاديّة، بخاصة

(أرشيف ــ مروان طحطح)

لدى فتيات ينتمين إلى الطبقات الاجتماعية الفقيرة والهشة، ممن يفتقرن إلى التوعية الجنسيّة، ليجدن أنفسهن مع حمل غير مرغوب فيه، إضافة إلى أن الأوضاع الاقتصاديّة الحرجة قد تدفع بعض الأسر في بعض الحالات القصوى إلى التخلّي عن أطفالها.

لذلك، تشكّل الظروف التي يشهدها لبنان أرضية «مثالية» للإتجار بالأطفال، خصوصاً أن «الطلب» موجود، تحديداً من مواطني دول غنيّة يجدون مبتغاهم في دول فقيرة. وتوضح علوش أن «التبنّي غير الشرعي يقع ضمن الإتجار بالبشر، ويُسمّى الإتجار بالأطفال لأغراض التبنّي، وتقوم به في أغلب الأحيان عائلات أجنبية من دول العالم الأول ترغب بالتبني ضمن بلادها لكنها لا تستوفي شروط التبني في دولها. فتلجأ إلى دول فقيرة أو تعاني حروباً وأزمات

تتولى هذه النشاطات الجرمية شبكات تضم محامين ومخاتير وعناصر في الأمن العام وموظفي سفارات

نزوح». وكان مؤتمر «التبنّي الدولي عبر لبنان: سيرة حرب منسية» وثّق أن غالبية الأطفال اللبنانيين الذين تم تبنّيهم كانت وجهتهم هولندا، تليها فرنسا فالدنمارك ثم أميركا وسويسرا.

لا أرقام ومعطيات دقيقة حول أعداد عمليات التبني التي تجرى بشكل مخالف للقانون. لكن الافتقار إلى معلومات حاسمة في هذا الشأن لا يعني أن هذه الممارسات غير موجودة، خصوصاً أنها، عادة، تجري بشكل متقن وتتولاها شبكة واسعة تضم، بحسب علوش، «محامين ومخاتير وعناصر في الأمن العام وموظفي سفارات أجنبية، وصولاً إلى مستشفيات تجرى فيها عمليات الولادة ويسجل الطفل باسم الأم الراغبة بالتبني». والملاحظ أنه رغم الأدلة والإثباتات، «جرى التعامل مع الأمر بطريقة تسخيفية، ولم تجر أي متابعة قضائية للملف».

وفيما قد يجد البعض في التبني «إنقاذاً للطفل» مقلّلين من شأن سلبيات الإجراءات غير القانونية التي تتبع للوصول إلى هذه الغاية، تلفت علوش إلى أن «التبني في كثير من الحالات ليس إلا عبارة عن رغبة عائلات بالحصول على أطفال مهما كان الثمن. وكثير من هذه العائلات تفتقر إلى المعايير التي تفرضها دولها للتبني ما يدفعها للجوء إلى دول أخرى»، ما يعرض الأطفال لمضاعفات واضطرابات قد تعيق حياتهم في المستقبل.

تقرير

المدارس الخاصة تعود الاثنين... واعتراض في المتن

فاتن الحاج

بعد اجتماع دام ثلاث ساعات، قررت نقابة المعلمين في المدارس الخاصة العودة إلى الصفوف، الاثنين، بعد إضراب عن التعليم الحضوري دام أسبوعاً واحداً تلا عطلة الأعياد.

القرار جاء، بحسب بيان النقابة، بعد اجتماعات عدة عقدت بين مكونات العائلة التربوية (ممثلي إدارات المدارس والمعلمين واتحادات لجان الأهل)، ومع وزير التربية عباس الحلبي والتوافق على ورقة مشتركة، وإبداء الوزير استعداده لمناقشة بنودها مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي والجهات المانحة.

وأعلنت النقابة استكمال التفاوض مع المراجع التربوية الخاصة والرسمية لتحقيق المطالب ومنها: دفع الرواتب كاملة، استناداً إلى القوانين النافذة وتقسيط المتأخرات على مدى قصير وبأسرع وقت ممكن، البدء بتسديد بدل النقل المرتقب، أي 65 ألف ليرة، على أن يكون قابلاً للتعديل مع تطور سعر صفيحة البنزين، احتساب الراتب على أساس الدولار بـ 3 آلاف ليرة، الطلب من الجهات المانحة دعم صندوق أفراد الهيئة التعليمية في المدارس الخاصة، الطلب من وزارة التربية أو الجهات المانحة تأمين الـ PCR و Rapid Test والكمامات والمعقمات وموازين الحرارة والكفوف للمدارس الخاصة (معلمين وتلاميذ)، ما يساعد المؤسسات التربوية الخاصة على احترام البروتوكول الصحي.

وفيما دعت النقابة الجمعيات العمومية إلى الانعقاد في 24 الجاري، أكدت دعمها للمعلمين في تحركاتهم وخصوصاً في المدارس التي لم تطبق إداراتها القوانين النافذة ولم تعط معلميها أي مطلب آخر، وبذلك تكون قد أعطت غطاء لكل الحركات الاعتراضية المستقلة للمعلمين.

وقد برزت في الأسبوع الأخير حركة اعتراضية في المدارس الكاثوليكية في المتن الشمالي قوامها رؤساء روابط المعلمين في 25 مدرسة، توافقوا على الاستمرار في الإضراب المفتوح وعدم العودة إلى المدارس قبل دفع مستحقات الدرجات الست كاملها مع المفعول الرجعي والذي فقد قيمته بالكامل، إصدار قانون بدل النقل في الجريدة الرسمية على أن يكون تصاعدياً بحسب تسعيرة صفيحة البنزين، دفع الـ 350 مليار ليرة للمدارس الخاصة والتأكد من وصولها كاملة إلى الأساتذة، التكفل بطبابة المعلمين إذا أصيبوا وأفراد عائلاتهم بكورونا أو بأمراض مختلفة، السماح للمدارس بتقاضي نسبة مئوية من الأقساط بالدولار «الفريش»، على أن يعود قسم منها للأساتذة، تأمين مساعدات بالدولار «الفريش» للأساتذة من الجهات المانحة أسوة بزملائهم في التعليم الرسمي. ودعا الاجتماع رؤساء روابط المعلمين في المتن وخارجها للانضمام إلى التحرك.

رئيس نقابة المعلمين رودولف عبود وصف في اتصال مع «الأخبار» هذه الحركة بـ«المهمة لنيل المعلمين حقوقهم في المدارس التي لم تطبق القوانين»، فيما أشار منسق الحركة رئيس رابطة المعلمين في مدرسة val pere Jacques في بقنايا المتنية، أنطوان عقيقي، إلى «أننا نحتاج إلى غطاء النقابة، ونجري حالياً حوارات مع إدارات المدارس لتقرير مصير الإضراب الذي يتوقع أن يصدر اليوم، باعتبار أن هناك مدارس وعدت بتحويل جزء من الرواتب إلى الفريش دولار وهو ما سيؤدي إلى انقسامات».

فتح المدارس وتقاضي الأقساط ومن ثم العودة إلى الإضراب مجدداً في شباط؟

مصادر نقابية مطلعة لفتت إلى أن بعض المعلمين يمكن أن يتردّدوا في المضيّ في الإضراب خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى مقاطعة الأهالي لدفع الأقساط، وخصوصاً أن تسديد القسط الثاني يستحق في هذا الوقت، إضافة إلى رفع المدارس موازناتها السنوية إلى وزارة التربية (مددت مهلة التسليم إلى 28 شباط المقبل)، وبالتالي فإن عدم الدفع سيؤدي إلى تمنع المدارس عن إعطاء الحقوق والزيادات المنشودة. ورأت المصادر أن خطوة النقابة أي الإضراب لأسبوع لم تكن سوى مناورة ترفع عنها المسؤولية، ومن ثم السماح بفتح المدارس وتقاضي الأقساط ومن ثم العودة إلى الإضراب مجدداً في شباط إذا لم تتحقق المطالب، وهو ما سيحصل على الأرجح.

(مروان بو حيدر)

حق الرد

انتخابات الاتحاد العمالي

تعليقاً على ما نشرته «الأخبار» (2022/1/14) بعنوان «دعوى قضائية لإبطال نتائج انتخابات الاتحاد العمّالي»، نوضح ما يأتي:

أولاً، بعدما اعترف السيد بشارة الأسمر بأنه لم يُجْرِ انتخابات نقابته (عمال مرفأ بيروت) قبل انتخابات الاتحاد العام، فإن ذلك يحرمه من المشاركة في تلك الانتخابات ترشحاً واقتراعاً.

وأدعو وزارة العمل الى وقف تمثيله فوراً لقيادة الاتحاد، وعدم الاكتفاء بالتمنع عن المصادقة على انتخابات القيادة الجديدة، وكذلك عدم جواز اعتبار الأسمر مسيّراً لأمور القيادة بصفته المنبثقة من الدورة الانتخابية السابقة.

ثانياً، أستغرب استغراب الأسمر لانضمام نقابتي (خبراء التخمين) للنقابات العمالية. وأنا أحمل بطاقة عضوية في المجلس التنفيذي للاتحاد العمالي العام تحمل توقيعه شخصياً. وتنويراً للرأي العام، فإننا أسسنا نقابتنا عام 1997، وكنا ننوي تصنيفها من ضمن نقابات المهن الحرة، لكن وزارة العمل صنفتها في دفترها «عمالية» تحت الرقم 162، وبرّرت الوزارة قرارها بأن الخبير ليس سيد عمله بل يقوم بالتخمين بناءً على طلب رب عمل، وبالتالي ينطبق عليه ما ينطبق على العامل، وهي تضم اليوم نحو 1500 خبير.

ثالثاً، لقد تمنّعت عن المشاركة في الاقتراع بعدما سمعت في جلسة ضمّتني مع المرشحين جورج العلم وبشارة الأسمر، عشية الانتخابات، تبادل اتهامات بين الرجلين. العلم اتهم بشارة بعدم إجراء انتخابات نقابته في المرفأ، والثاني ردّ على العلم بعدم إجراء انتخابات نقابته. وطالت اتهامات الأسمر المرشح شربل صالح بعدم إجراء انتخاباته النقابية أيضاً، فقررت منذ تلك اللحظة اللجوء إلى الطعن وعدم الدخول في هذه اللعبة غير النظيفة.

وأخيراً، أدعو الأسمر إلى مناظرة إعلامية على صفحات «الأخبار».

بول اسطفان

تقرير

انفراجة في سوق الدواء الأسبوع المقبل؟

رأفت حمية

في كل مرة ينقطع الدواء، يوجّه مستوردو الأدوية وأصحاب المستودعات أصابع الاتهام إلى مصرف لبنان وتأخره بالبت في معاملات الاستيراد. صحيح أنّ المصرف وحاكمه يتحملان جزءاً كبيراً من المسؤولية عما وصلت إليه البلاد في هذا القطاع وغيره، إلا أن مسؤولية كبرى تقع أيضاً على جشع المستوردين وأصحاب المستودعات الذين يعمد بعضهم إلى تخزين الأدوية من دون أدنى اعتبار لتداعيات ذلك على أوضاع المرضى. والأمر نفسه يلجأ إليه أيضاً صيادلة ليسوا أقل جشعاً كما تؤكد مصادر وزارة الصحة.

منذ أسابيع، باتت أدوية كثيرة خارج التداول وفُقدت من رفوف الصيدليات، خصوصاً أدوية تضع حياة المرضى على المحك، كأدوية الأمراض السرطانية والمستعصية والمزمنة. الزيارات المتكررة للمرضى إلى مستودع الكرنتينا التابع لوزارة الصحة، غالباً ما تصطدم بالجواب المتوقع: «بعد ما وصل».

عتب وزير الصحة العامة، فراس أبيض، على المستوردين وأصحاب المستودعات لا يبدو «على قدّ المحبّة»، بل أقرب إلى اللوم لرفض معظم هؤلاء تحمل المسؤولية في ظل الانهيار وتحميلهم المريض وحده تبعات المأزق. والأنكى اليوم

إلى مسؤولية «المركزي» هناك مسؤولية سببها جشع مستوردين وصيادلة

أن مصرف لبنان «يري» هذه المرة. إذ إن التأخر في الاستيراد حصل على رغم نيل الموافقات من المصرف، بحسب أبيض، أضف إلى ذلك ما «وصلهم» من المصرف إلى الآن عن المستحقات السابقة، والتي تقدرها وزارة الصحة بنحو 180 مليون دولار لأدوية ومستلزمات طبية ومواد أولية، وهو «رقم ليس بالسهل»، على ما تقول المصادر.

وإذ يبرر المستوردون التأخير بعطلة الأعياد التي تشمل الشركات العالمية أيضاً ما أسهم في تأخير الطلبات، إلا أنه بحسب مصادر الوزارة «كان يمكن تفادي هذا الأمر، لو أنهم جهّزوا طلباتهم مسبقاً عندما كانت الملفات تُدرس في المصرف المركزي».

مع ذلك، يفضّل أبيض أن يبدو أكثر تفاؤلاً اليوم، مشيراً إلى أن الانفراجة في أزمة الدواء باتت أكثر قرباً، محدداً توقيت ضخ الأدوية في السوق بين «الأسبوع المقبل أو الذي يليه على أبعد تقدير». أما بالنسبة لشروط الوزارة هنا، فهو أن يكون «أول الغيث» في مركز الكرنتينا، إذ يؤكد أبيض أن المستوردين وأصحاب المستودعات «ما فيهم يسلّموا الخاص قبل ما يسلّموا مرضى الوزارة». أما إذ تأخر الاستيراد عن ذلك، «عندها لكل حادث حديث»، بحسب مصادر الوزارة.

تقرير

تلبّد التوافق يرجئ انتخابات رابطة «الثانوي»

فاتن الحاج

(مروان بو حيدر)

طقس نهاية الأسبوع عاصف. هذا المعطى الذي توقعته مصلحة الأرصاد الجوية آتى «شحمة على فطيرة» للهروب من «طقس التوافق» العاصف أيضاً بين أحزاب السلطة على صيغة ائتلافية للهيئة الإدارية لرابطة أساتذة التعليم الثانوي الرسمي. الأحوال الجوية جاءت «تخريجة» واقعية للمأزق التحاصصي، إذ أصدرت الرابطة بياناً أرجأت فيه الانتخابات المقررة، غداً، إلى الأحد المقبل في 23 الجاري، تحت غطاء «الحرص على سلامة الأساتذة الآتين من مناطق بعيدة»، فيما الهدف في الواقع إعطاء فرصة إضافية للمفاوضين الحزبيين بإنتاج لائحة تضمن للقوى السياسية الفوز مسبقاً في الاستحقاق. علماً أن هذه القوى تصرفت في اليومين الماضيين على أساس أن الانتخابات مؤجلة حتماً، ولا داعي لحرق الأعصاب، ما عكس «فتوراً» في الاتصالات واللقاءات بين مفاوضيها، وما يعني أن شد الحبال حول الرئاسة وعقد التمثيل لم يُحل، علماً أنه جرت العادة أن يشمل التوافق بين الأحزاب سلة متكاملة أو «باكيدج»: الرئيس والتركيبة التوافقية. التأجيل سيخلط الأوراق ويعيد النقاش، المتوقع أن يستأنف الاثنين، إلى نقطة البداية، فلا شيء محسوماً، والأبواب مفتوحة على كل الاحتمالات، سوى أن التيار الوطني الحر قد لا يشارك في الانتخابات على مستوى الترشيح.

نجحت المعارضة النقابية المستقلة في التوافق على لائحة مكتملة من 18 عضواً

على المقلب الآخر، نجحت المعارضة النقابية المستقلة، أو ما سمي «جبهة التغيير النقابية»، في التوافق على لائحة مكتملة من 18 عضواً لمواجهة السلطة بعد مفاوضات «عصيبة» حول تمثيل القوى النقابية في الجبهة تبعاً لحجم كل منها بالتناسب مع أعداد المندوبين، وتمثيل مندوبي المناطق. وتضم لائحة المعارضة ممثلين عن «التيار النقابي المستقل»، «لقاء النقابيين الثانويين»، «لجنة الأقضية»، «الجماعة الإسلامية»، قطاع التربية والتعليم في الحزب الشيوعي، «مجموعة الأستاذ المستقل في الشوف»، «الثانويون المستقلون في المتن الشمالي»، «تربويو عكار»، ومستقلين.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير الفني: صلاح الموسى
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الوان ت ـ 15 ـ 01/ 666314، 03 / 828381
■ الموقع اللكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

العقليّة الانهزاميّة في مواجهة إسرائيل

أسعد أبو خليك *

كانت معركة عين جالوت في عام 1260 فاصلةً في التاريخ العربي ـ الإسلامي لأن نصر جيش المماليك ضد المغول رفع معنويّات المسلمين الذين كانوا على اقتناع بأن المغول لا يُقهرون. والمجازر التي ارتكبت في اقتحام بغداد كان الهدف منها الترويع والإرهاب لإضعاف نفوس المسلمين والعرب. وكان الناس قبل سقوط بغداد يتداولون مقولة «من قال لك إن المغول يُهزمون لا تصدّقهم». والحرب النفسيّة كانت فعّالة من قبل المغول. كتب هولاكو إلى الخليفة العباسي المستعصم يرهبه قائلاً: «فإنّك لو كنتَ مختفياً في السماء أو في الأرض فسوف أنزّلك من الفلك الدوار، وسوف ألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد، ولن أدع حيّاً في مملكتك، وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمةً للنار، فإذا أردتَ أن تحفظ رأسك وأسرتك فاستمع إلى نصحي بمسمع العقل والذكاء، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله». (لا تذكر المراجع التاريخيّة أن الخليفة جَبُنَ ـ وهو رفض نصيحة وزيره بالاستسلام ـ مع أنه كان ضعيفاً وردّه على الرسالة كان هزيلاً ويُقال إنه أعلمَ أعداءه بمواضع المال قبل أن يُقتل. وبعد سقوط بغداد، أمر هولاكو بقتل الخليفة، وهناك من قال إنه قُتل رفساً أو غرقاً أو خنقاً).

والعدوّ الإسرائيلي استثمر في الحرب النفسيّة ضد العرب مبكّراً. لدينا اليوم وثائق أفرج عنها وفيها أحاديث صريحة بين زعماء الصهاينة في العشرينيّات عن وسائل لتطويع وإخضاع وترهيب وسَرْدَمة العرب وشقّ صفوفهم. كانوا يتحدّثون عن خطط لزرع الشقاق بين المسيحيّين والمسلمين في فلسطين مثلاً (ووعي الفلسطينيّون الأوائل هذه الخطة الخبيثة فتضافروا في إنشاء جمعيّات إسلاميّة ـ مسيحيّة لتفشيل خطط العدوّ. وللأمانة، غاب عامل الانقسام الطائفي والمذهبي عن الساحة الفلسطينيّة إلى أن ضعفت الأحزاب الفلسطينيّة العلمانيّة والقوميّة وصعدت حركات إسلاميّة في صفوف شعب فلسطين. هناك في مخيّمات لبنان من يشتغل في التحريض ضد «الروافض» والكفرة أكثر من اشتغالهم في التحريض ضد الصهيونيّة). والخطط الأولى للعدوّ شملت شراء الكتّاب في الصحف العبريّة ـ في لبنان وحتى في المهجر الأميركي ـ وشراء الساسة والحكّام والمؤثّرين. العدوّ (منذ أول أيّام رئاسة حاييم وايزمان للحركة الصهيونيّة) أراد إحباط المعارضة العربيّة ضد الصهيونيّة. والصهيونيّة لجأت إلى وسائل خبيثة وسرّية في التعامل مع العرب. في المرحلة الأولى حتى عام 1948، كانت الحركة الصهيونيّة تعمل سرّاً لإنشاء جيش حديث منظّم زادته مشاركة «اللواء يهودي» منظّم في صفوف الجيش البريطاني في الحرب العالميّة الثانية تنظيماً وبأساً. لم تكن الحركة الصهيونيّة وهي تسلّح تريد من العرب معرفة نيّاتها وإصرارها على السيطرة على أرض فلسطين بالقوّة المسلّحة. ولم يدرك العرب خطورة ما يعدّه العدوّ لهم إلا في «حادثة الاسمنت» في أكتوبر 1935. في 16 أكتوبر من ذلك العام، اكتشف عمّال الميناء في مرفأ يافا في فلسطين (وكانت تحت الاحتلال البريطاني) أثناء تفريغهم لباخرة كانت تحمل محتويات اسمنتيّة لمصلحة تاجر يهودي في تل أبيب أن هذه المحتويات ليست إلا سلاحاً للعصابات الصهيونيّة. تعرّضت حاوية لتكسّر واندلقت محتوياتها فكشفت عن بنادق وذخائر. وكشف تحقيق بريطاني في ما بعد عن شحنة سلاح كبيرة في الباخرة، وتضمّنت 25 بندقيّة رشاش «لويس»، و800 بندقيّة و400 ألف طلقة ذخيرة. وضّم العرب لهذا الاكتشاف إلى درجة أنه في غضون ساعات اندلعت التظاهرات في أنحاء فلسطين وحتى في العواصم العربيّة (في عمّان وبغداد والقاهرة ودمشق ـ لكن ليس في بيروت التي يحبّ أهلها الحياة والرخاء حبّاً جمّاً). إن «حادثة الاسمنت» كانت عاملاً أساسيّاً في اندلاع الثورة الفلسطينيّة في 1936.

حاول العدوّ حتى عام 1948 أن يخفي قوّته العسكريّة الكبيرة. العدوّ علم أن الكشف عن حجم القوّة العسكريّة الإسرائيليّة من شأنه أن يزيد من حجم القوّة العسكريّة العربيّة لمنع احتلال فلسطين، كما أنه كان يمكن أن يكون هناك حالة استرخاء في صفوف العصابات الصهيونيّة لو عرف عناصرها بمدى التفوّق اليهودي في الميزان العسكري مع العرب ـ كل العرب، وليس بعضهم. صحيح أنه كان هناك حكّام عرب موالون لبريطانيا ومتواطئون مع الحركة الصهيونيّة، لكن العدوّ نجح في خداعهم بأن صوّر نفسه بأنه ضعيف وأن هناك قوّات عربيّة هائلة آتية لنجدة أهل فلسطين. يروي هشام شرابي عن ذكرياته في الجامعة الأميركيّة في بيروت كيف أن مئات المتطوّعين من الطلاب تسجّلوا لقتال الصهاينة في 1948، لكن لم يأتِ منهم إلا عدد صغير جداً في اليوم التالي (يُعدّون على الأصابع). لم يكن هذا جبناً منهم. لا. لم يكن العربي يقدّرون حجم القوّة العسكريّة الصهيونيّة. هل هناك شكّ أنه لو أن العرب كانوا على معرفة بالحجم الحقيقي للقوة العسكريّة الصهيونيّة والضعف العسكري العربي الهائل، أن مئات الآلاف منهم كانوا قد تطوّعوا للسفر إلى فلسطين والدفاع عن أهلها؟ وقد ساهم في تخفيف الخطر الصهيوني الحكّام العرب أنفسهم الذين أوحوا للصحافة بأن الجامعة العربيّة ستتكفّل بردّ عدوان الصهاينة. رجعتُ في مكتبة جامعة كاليفورنيا في بيركلي إلى أعداد مجلّة «المصوّر» المصريّة لعام النكبة وبذلك هذا الاستخفاف من القادة العرب. كان رياض الصلح يمازح الصحافيّين وهم يسألونه بلوعة وترقّب وقلق عن خطط القادة العرب للدفاع عن فلسطين. وحدّثهم الصلح هذا عن خطة سرّية لحماية فلسطين. كان الشعب العربي نائماً على يقين النصر. وحتى الفلاحون الذين كانوا في جنوب لبنان (قابلتُ بعضاً منهم في سنوات يفاعتي) يهزّبون مهاجرين يهوداً إلى فلسطين سرّاً (بعد «الورقة البيضاء» في عام 1949): هؤلاء لم يكونوا يتوقّعون أن ينتصر الصهاينة.

(نهاد علم الدين)

قال لي فلاح جنوبي عندما سألته مستهجناً مُستفظعاً عن مساعدة المهاجرين اليهود للاستيطان في فلسطين إنهم كانوا فقراء ويقبضون من اليهود بالعملة الصعبة، وإنه لم يدّر في خلدهم أن دولة يهوديّة ستنشأ على أنقاض فلسطين (هذا لا يبرّر فعلتهم الشنيعة). والخفية الصهيونيّة وستر حقيقة التحضّر العسكري اليهودي ساعد أيضاً في رفض صفوف اليهود وحثّهم على القتال حتى الموت. لا يحفّز على القتال أكثر من تصوير القتال بأنه وجودي (هذا ما رمى إليه أنطون سعادة في تصنيفه للصراع مع الصهيونيّة). إذا كانت مشكلتنا مع الدولة الاحتلاليّة بعد 1948 هي الانهزاميّة والشعور بأن الصهيوني «لا يُقهَر» مثلما كان المغولي لا يُقهر، فإن المشكلة كانت حتى عام 1948 أن الصهيونيّة خطر عسكري غير ذي اعتبار لأن الدول العربيّة ستناصر مجتمعةً ضد فلسطين. كل الحكومات العربيّة حذّرت شعب فلسطين في حينه، لكن الحكم على الشعب العربي يظلمه إذا لم يأخذ في عين الاعتبار أن الشعب العربي لم يكن مُدركاً حالة الضعف العسكري العربي. كانت انطلاقة «الثورة الفلسطينيّة» (أجهضتها دول الخليج عبر القيادة الكارثيّة لياسر عرفات) مناسبة لدفق التطوّع العربي الشعبي إلى لبنان، وكانت مخيّمات التدريب العسكري مليئة بمتطوّعين من كل البلدان العربية، بما فيها دول الخليج. وكان عرفات حذراً جداً من التعامل مع متطوّعي الخليج مخافة إغضاب حكوماتهم (كان الكثير منهم يلجأ إلى مخيّمات تدريب «الجبهة الشعبيّة» و«الجبهة الديموقراطيّة»).

وبعد تحقيق الانتصار الصهيوني الكبير ضد العرب (بالرغم من تهويل كاذب للصهاينة بأن غزواً من سبع دول عربيّة كان يسعى إلى إبادة اليهود ـ يكفي أن تعرف أن الجيش اللبناني المتواطئ في حينه كان في عداد تلك الدول «الغازية»)، لم يرد الصهاينة أن يعرف الغرب بحجم قوّتهم وكانت قوات اليهود ثلاثة أضعاف عدد الجيوش العربيّة السبعة المفترضة. جعلوا من نصرهم معجزة ربّانيّة منّ بها خالقُهم عليهم، وأن الغزو العربي كاد أن يمحي اليهود عن الخريطة السياسية في الشرق الأوسط. ولم يكن هناك طبعاً أي خطة عربيّة، رسميّة أو شعبيّة، بذلك. استمرّت الدعاية الصهيونيّة الكاذبة حتى عام 1967 ـ في تصوير دولة اليهود على أنها دولة ضعيفة صغيرة محاطة بجزيرة من المتوحّشين العرب. وكما أن دولة إسرائيل اليوم تصبح مهتاجةً ليل نهار حول سلاح نووي إيراني غير موجود، فيما هي تتربّع على ترسانة نوويّة علاقة، فإن إسرائيل كانت تبالغ في حجم قوّة الجيش المصري والسوري والأردني حتى هزيمة 1967. لم تكن حرب 1967 معجزة على الإطلاق بقدر ما كانت محتومة بسبب الاستعداد العسكري الإسرائيلي (الذي استفاد من تسليح سخيّ من قبل دول الغرب). كانت المعجزة لو أن العرب انتصروا في حرب 1967، لما كان عليه وضع الجيوش العربية من ضعف وسقم وهزال التسليح. جعلت إسرائيل من صواريخ مصر قضيّة القضايا، فيما كانت هي تبني أكبر ترسانة عسكريّة في الشرق الأوسط برمّته. إسرائيل مارست الخداع حتى مع حليفتها في واشنطن. نعلم من الوثائق الأميركيّة أن الحكومة الإسرائيليّة بقيت على خداعها مع الحكومة الأميركيّة إلى ساعات عشيّة حرب 1967، وكانت تصوّر جيشها بأنه يحتاج إلى دعم أميركي كبير لأن الجيوش العربيّة كانت على وشك إبادة اليهود ـ مرّة أخرى. وفي الساعات الأولى للحرب، كذب المندوب الإسرائيلي في الأمم المتحدة على الحكومة الأميركيّة وزعم أن العرب هم الذين بادروا إلى إطلاق النار. وكانت تقديرات المخابرات الأميركيّة للرئيس الأميركي تقول بأن نصر إسرائيل ضد العرب هو حتمي مهما تجمّع من تحالف عسكري عربي ضد إسرائيل. طبعاً، الحكومة الأميركيّة لم تفصح للرأي العام العالمي عن طبيعة تفوّق إسرائيل المُسلّحة منها في البروباغندا الإسرائيليّة: إسرائيل هي الحمل الوديع، والعرب هم الذئب المفترس. والخداع الإسرائيلي فعل فعله بين الصهاينة في حرب 1967 لأنهم لم يكونوا على علم بمستوى تفوّقهم. كلام المعجزة الإسرائيلية لم يكن إلا نتيجة لكذب حكومة العدوّ مع شعبها.

لم يستطع العدوّ أن يستمرّ في تصوير دولته بأنها وادعة ضعيفة في بحر من الوحوش. استفاق ديغول (بعض الشيء) عن حقيقة إسرائيل العدوانيّة بعد الهزيمة في 1967 ـ وإن لم يستفق غيره في الغرب. عرف الصهاينة أن جيشهم أقوى من الجيوش العربيّة، واستمرّ هذا الاستعلاء حتى حرب تموز والمواجهات البطولية التي خاضها شباب المقاومة على أرض جنوب لبنان (جريدة «الشرق الأوسط» جديدة عن انسحاب إسرائيل من لبنان في عام 2000 إذ قالت إن جيش العدوّ هو قرّر من تلقاء نفسه الانسحاب من لبنان خدمة للإنسانيّة). بعد 1967، وخصوصاً بعد 1973 والصدمة الأولى في الحرب، بات العدوّ يمعن في زرع الانهزاميّة عند العرب. وزرع الانهزاميّة كان عملاً شاركت فيه قوى عربيّة، ببراءة أو عن ضلوع في مخطّط خطير. كانت هناك أصوات في منظمة التحرير، مثل عصام السرطاوي، من الذين يرفعون أيديهم في الهواء مُطالبين بحصول تسوية ولو كانت مهينة مع العدوّ. وأدبيّات «النقد الذاتي بعد الهزيمة» في 1967 ـ والتي أسهم فيها أكثر ما أسهم بساريّو ذلك الزمن مثل أدونيس وصادق العظم وهشام شرابي ـ رسّخت فكرة استحالة النصر على العدوّ. كل هؤلاء قد جعلوا من هزيمة كان لها أسباب محدّدة ومعروفة، وبناءً على تقصير واضح، مناسبة للإمعان في ضرب الذات العربيّة وتصويرنا عاجزين عن محاربة إسرائيل من دون نهضة حضاريّة وديموقراطيّة وعلمانيّة واجتماعيّة وحتى نفسيّة. لا، كان يمكن الانتصار على العدوّ بنظام قمعي مثلاً لو أن النظام المصري والسوري والأردني تضافروا ونظموا عمليّة إعداد الدفاع عن فلسطين والأراضي العربيّة. قاد ستالين أعظم دفاع عسكري عن بلاده ـ وعن العالم ـ بوجه الوحشيّة النازيّة من دون دمقرطة ونهضة حضاريّة شاملة. جماعة «النقد الذاتي بعد الهزيمة» يأسوا الشعب العربي وجعلوا من إمكانيّة النصر سراباً. وتفوّق العدوّ في المعركة لم يكن أبداً لأسباب حضاريّة، بل لأن أميركا ودول الغرب أمدّته بأحدث الأسلحة والموارد الماليّة. كل هذا يذكّرني بمحادثتي مع صادق جلال العظم في 1992 عندما ردّ على طلبي له بعدم إلقاء محاضرة في الذراع الفكريّة للوبي الإسرائيلي بالقول: انتصر اليهود، يا أسعد. (مفارقة أن العظم كان هو المبادر في أدبيّات «النقد الذاتي بعد الهزيمة»).

الصحافة الخليجيّة («الحياة» و«الشرق الأوسط» و«النهار» و«الحوادث» في عزّها) أفردت صفحات طويلة وملوّنة لنشر تقارير عن حداثة وفتاكة وفعاليّة السلاح الإسرائيلي. والعدوّ كان يبالغ في استعراض قوّاته، وخصوصاً طيرانه فوق المشرق العربي، إمعاناً في الترهيب. لا يجب التقليل من القوّة العسكريّة الإسرائيليّة، لكن فكرة «الإسرائيلي لا يُقهر» زُرعت في الأذهان العربيّة عبر إسرائيل وجهازها الدعائي، وعبر عرب ساذجين أو متآمرين. صحيح أن حرب تشرين كسرت صورة الإسرائيلي. لكنّ تواطؤ، لا بل الخيانة الوطنيّة لأنور السادات، سرعان ما أنعشت صورة الجيش الإسرائيلي بعد محاصرة الجيش المصري الثالث وبعد ختام الحرب بنتائج لمصلحة العدوّ. أمّا ياسر عرفات، فقد ساهم هو الآخر في تجميل صورة قوّة العدوّ لأنه وقع في تناقض هائل وقاتل: صحيح أنه كان يسخر في خطبه الشهيرة في بيروت من فكرة الجيش الذي لا يُقهر وكان يعد بتمريغ أنف جيش العدوّ، لكن في كل مواجهة كانت تحصل في جنوب لبنان، كانت قوّات المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة تظهر على حقيقتها، غير مستعدّة تماماً، وكانت البطولات فرديّة في أكثرها. لم تكن القوّات تفتقر إلى أبطال، لكن لم يكن هناك خطط صدّ أو دفاع (وحدها «الجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة» كانت تتحضّن تحت الأرض مثلاً. «فتح» و«الشعبيّة» و«الديموقراطيّة» أهملوا هذه البديهيّات في الدفاع في أرض الجنوب). إن التعامل مع اجتياح 1978 واجتياح 1982 ـ الذي انتهى بالقضاء التام على الثورة الفلسطينيّة خارج فلسطين، والتي كانت أكبر عون لحركة الداخل ضد الاحتلال ـ أدّى إلى تعزيز صورة الإسرائيلي القوي.

نهشت المقاومة في لبنان في الثمانينيّات والتسعينيّات في صورة «الإسرائيلي الذي لا يُقهر» وأخرجت إلى العلن مقاتلاً مقاوماً من صنف جديد. المقاوم الذي يُخيف ولا يخاف: المقاوم الذي يهرب الإسرائيلي من وجهه. هذه التجربة، التي تُوّجت في حرب تموز، كسرت صورة الإسرائيلي وغيّرت عقيدة العدوّ العسكريّة. هذا باختصار سبب الحملة الخليجيّة ـ الإسرائيليّة ـ الأميركيّة ضد حركة مقاومة إسرائيل في لبنان.

حرب تموز أنهت بالضربة القاضية صورة الجيش الإسرائيلي الخارق. وثقافة الانهزاميّة كانت ردّ الإعلام الخليجي على النصر اللبناني الحاسم. كل الصحف الغربيّة الصهيونيّة تعترف بهزيمة العدوّ، بما فيها مجلّة «فورين بوليسي» أخيراً (مجلّة «إيكونوميست» تعتبر أن الحرب انتهت بالتعادل: التعادل بين أقوى جيش في الشرق الأوسط وبين فرق من المتطوّعين اللبنانيّين. هذا ليس تعادلاً. كان تقول إن مباراة كرة قدم انتهت بالتعادل بين فريق مكوّن من 20 شخصاً وفريق من شخصيْن يلعبان حافييْن). إن كل الحملة الهائلة ضد المقاومة في لبنان وفلسطين (والتي قادها من دون هوادة النظامان السعودي والإماراتي) هي من أجل إرجاع ثقافة الانهزاميّة إلى العقل العربي. نحن نتحدّث عن زمن أنشأ فيه العدوّ «فرقة تدخّل سريع» مهمّتها صدّ محاولة تقدّم حزب الله في الجليل في الحرب المقبلة. هذا التطوّر (حتى «الشرق الأوسط» نشرته ربما بهدف خدمة دعاية العدوّ لأن الجريدة ـ مثل كل إعلام النظام السعودي والإماراتي ـ تنشر أخباراً تجميليّة لصورة العدوّ بصورة يوميّة) هو من أهم ما لحق بنموّ المقاومة العربيّة ضد إسرائيل منذ 1948. جيش العدوّ يخاف من تقدّم متطوّعي المقاومة اللبنانيّة في أرض فلسطين. لكن هذه التطوّرات غائبة عن الإعلام العربي.

لم يتوقّف الإعلام العربي، منذ نصر تموز، عن التقليل من حجم الانتصار. أقطاب 14 آذار المُسيّرون من قبل النظام السعودي (وحكومة العدوّ من ورائه لأن الثنائي السعودي ـ الإماراتي ليس إلا أداة بيد العدوّ في السياسة الخارجيّة والإعلام) كلّهم صغّروا من حجم الانتصار: البعض نفى الانتصار، ودوري شمعون أفتى أن إسرائيل لم تنتصر لأن إنسانيّاتها منعتها عن ذلك. والبعض الآخر يذكّر بالدمار كان هناك انتصاراً عسكرياً من دون خسائر ودمار. ليس هناك في فرنسا من يقول إن المقاومة الفرنسيّة تتحمّل مسؤوليّة عن الدمار الذي ألحقه الجيش النازي بفرنسا. كل الحملة الجارية ضد حزب الله (وهي حملة تبرّئ «أمل» حتى من قبل الثنائي الشيعيّين الشباب الذين يزعمون أن معارضتهم للحزب سببها حمايته لنظام الفساد، على أساس أن «الكتائب» وكل 14 آذار هم من خارج النظام) هي انتقام صريح من إسرائيل لإذلالها في حرب تموز.

تحتاج الصهيونيّة إلى الانهزاميّة العربيّة التي راقت للعدوّ في معظم عقود الصراع العربي ـ الإسرائيلي. العقليّة الانهزاميّة هي التي زرعها فؤاد شهاب من خلال عقيدته العسكريّة: أن لبنان ضعيف جداً وأن إسرائيل أقوى جيش في المنطقة وأن دفاع لبنان عن نفسه بوجه إسرائيل هو «مغامرة غير محسوبة» بلغة الناطق الرسمي السعودي غداة حرب تموز. الانهزاميّة هي التي تمنعك من التفكير في القتال لأنك تستبطن عقدة تفوّق العدوّ. لكن كيف تزرع الانهزاميّة والعدوّ يعترف بخوفه من مقاومة لبنان؟ حتى «فورين بوليسي» اعترفت بأن جيش إسرائيل غير قادر على اللجوء إلى خيار عسكري ضد إيران بسبب هزيمته في حرب تموز. الانهزاميّة هي سلاح أتباع النظام السعودي والإماراتي بالنيابة عن إسرائيل. لكن ماذا تفعل والعقليّة الانتصاريّة تسود في جنوب لبنان وغزة؟ ماذا تفعل وهناك من يربط في جنوب لبنان متشوّقاً للمعركة المقبلة؟ لن يطمس المزيد من الإنفاق الخليجي هذا الشوق الانتصاري الذي يكابد أهلنا في الجنوب.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

> **إن كل الحملة الهائلة ضد المقاومة في لبنان وفلسطين (والتي قادها من دون هوادة النظامان السعودي والإماراتي) هي من أجل إرجاع ثقافة الانهزاميّة إلى العقل العربي**
>
> **نحن نتحدّث عن زمن أنشأ فيه العدوّ «فرقة تدخّل سريع» مهمّتها صدّ محاولة تقدّم حزب الله في الجليل في الحرب المقبلة**

في ذكرى ميلاده الـ 104: عبد الناصر والدوائر الثلاث

مجدي المعصراوي *

لم يكن جمال عبد الناصر - الذي نحتفل في مصر وعلى مستوى الأمّة العربية ومع أحرار العالم بالذكرى الرابعة بعد المائة لميلاده - مجرّد رئيس لمصر، وقائد للعرب، وملهم لحركات التحرّر في العالم كلّه فقط. بل كان أيضاً صاحب رؤية ونهج لو التزمنا به جميعاً لما وصلت حال أمّتنا إلى ما هي عليه اليوم من فساد وإفساد، من تخاذل وتواطؤ، من هوان ومهانة.

لقد كُتبت المجلدات في هذا القائد الكبير، وستُكتب فيه، لا سيمّا أنه باقٍ في وجدان شعبه وضمير أمّته، وذاكرة الأحرار، رغم مُرور 52 عاماً على رحيله. ولكن القليل ركّز على الرؤى الاستراتيجية التي حملها ناصر، والتي كانت واضحة عنده منذ الأيام الأولى لثورة يوليو 1952. بل قبلها حين كان محاصراً في الفلوجة الفلسطينية حين أدرك عمق العلاقة بين مواجهة العدو الغاصب ومحاربة الفساد والاحتكار والاستغلال في الداخل.

من تلك الرؤى الاستراتيجية المهمّة التي أطلقها في كتابه «فلسفة الثورة» عام 1953، هي فكرة الدوائر الثلاث التي ينبغي لمصر الثورة أن تتحرّك فيها. وهي: الدائرة العربية، والدائرة الإسلامية، والدائرة الأفريقية.

إن حديث عبد الناصر عن الترابط بين مصر والدوائر الثلاث هو حديث يجتمع فيه الفكر مع الاستراتيجية في آن. فعلى الصعيد الفكري يأتي الحديث عن دوائر ثلاث ينبغي لمصر أن تتحرّك فيها؛ هو إدراك للتكامل بين الوطنية المصرية وبين عمقها العربي والإسلامي والافريقي، وصولاً في ما بعد إلى عمقها الإنساني حين لعب دوراً تاريخياً مع عمالقة كبار في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية بعقد مؤتمر باندونغ عام 1955، ثم إطلاق حركة عدم الانحياز في قمة بلغراد اليوغوسلافية بعد عام.

لقد أدرك عبد الناصر، بحسّه السياسي الدقيق وثقافته التاريخية الواسعة، أن مصر لن تنتصر في مواجهة التحدّيات الكبرى التي تحاصرها إلا حين تدرك مكانتها وموقعها، وتلعب دورها في الدوائر الثلاث المحيطة بها، والتي أضافت إليها التجربة دائرة العالم الثالث الذي يلعب اليوم دوراً مهمّاً في تحرير العالم من الهيمنة الاستعمارية.

كانت الدائرة العربية لعبد الناصر تعني الحركة القومية العربية التي كان قائداً لها، والتي تحالف مع قواها الرئيسية في مشرق الوطن العربي ومغربه، وأقام معها وبها أوّل وحدة عربية في العهد الحديث بين سوريا ومصر.

أمّا الدائرة الإسلامية، فقد سعى إليها بالتركيز على الرابطة الإسلامية، وبإرسال بعثات الأزهر الدينية إلى العديد من دولها، تحمل معها القرآن الكريم بكل ما يعنيه ذلك من تأكيد على دور العرب، ماضياً وحاضراً، في الإسلام، ودور الإسلام في وحدة العرب ونهضتهم، وعقيدة غالبيتهم، وثقافة وحضارة غير المسلمين العرب.

وكانت الدائرة الأفريقية، التي يمكن أن نضيف إليها الدائرة الآسيوية والأميركية اللاتينية، تعبيراً عن الأفق الإنساني لثورة يوليو وإدراكها أن انتصار حركة التحرّر العربية والإسلامية لن يتحقّق إلا بتكاملها مع حركة التحرّر العالمية.

لقد رفض ناصر المقايضة بين هذه الدوائر، وإلغاء الواحدة منها لصالح الأخرى. بل أسّس لنهج التكامل بين الوطنية المصرية والعروبة التقدّمية والإنسانية المتحرّرة، مدركاً أن التكامل بين الشعوب والأمم والحضارات والثقافات، مثله مثل التواصل والتراكم، فضائل لا تصون الأوطان وتحميها فقط، بل تقود إلى نهضة الأمم وتنميتها وتقدّمها.

لقد جعلت نظرية الدوائر الثلاث، التي أطلقها منذ الأيام الأولى لثورة يوليو، لمصر والأمّة العربية مكانة كبيرة في العالم كلّه، ومنحت لمصر والأمّة العربية قوّة جعلتها محط أنظار أحرار العالم كلهم، كما هدفاً مستمراً لأعداء الأمة من صهاينة ومستعمرين.

واليوم، وفيما تواجه مصر وأمّتنا ما تواجهه من تحدّيات، تبقى نظرية التكامل بين الدوائر العربية والإسلامية والإنسانية مبعث نهوض لمصر وللأمّة كلّها، وتشكل الردّ على كل «أيديولوجيات» الإقصاء، أيّاً كانت. وحين يسود منطق التكامل بين الدول وداخلها، وبين التيارات وداخلها، يسقط نهائياً منطق الإقصاء وما يرتكز عليه من تكفير وتخوين وإلغاء متبادل.

فلتكن ذكرى ميلاد القائد الخالد الذكر دعوةً لتعزيز التكامل بين أبناء الأمّة وتيّاراتها وقواها كما بين الأمّة وجوارها الحضاري الإسلامي، وعمقها الأفريقي الحيوي، ومداها التحرّري العالمي.

* الأمين العام للمؤتمر القومي العربي

على الغلاف

استخدم جيش الاحتلال الأبراج السكنية لتنفيس غضب الشارع الإسرائيلي (أ ف ب)

اقدم العدو الإسرائيلي، خلال معركة «سيف القدس»، على تدمير سبعة أبراج سكنية، في إطار سياسة «إعادة غزة إلى العصر الحجري»، والتي اعتقد أنها ستفعل فعلها في إنهاء الحرب بشروطه. لكن تفعيل المقاومة معادلة قصْف تل أبيب، كان كفيلاً بإيقاف هذا المسلسل، الذي خلّف، مع ذلك، تداعيات كبرى على شريحة من سكّان القطاع، الذين باتوا ينتظرون دورهم في عملية إعادة إعمارٍ «سلحفاتية»، ليست ممتلكاتهم موضوعة إلّا في آخر قائمتها، لاعتبارات عدّة لا يُستبعد من بينها إبقاء الأثر النفسي لسياسة إطاحة الأبراج قائماً

سبعة أبراج أزيل ركامها... والسلام 9
غزة: لا نيّة إعمار

غزة - **يوسف فارس**

انتهت معركة «سيف القدس» بإضافة سبعة أبراج أخرى إلى قائمة الأبراج التي دُمّرت في حرب العام 2014. تلك المباني التي كانت تؤوي مئات الأسر والمكاتب الإعلامية والشركات الاقتصادية، لا تزال تنتظر دورها في إعادة الإعمار، التي تسير بخُطى السلحفاة. بالنسبة إلى المانحين، فإن الأولوية تتمثّل في إعادة إعمار المنازل التي لا يجد سكّانها مأوى، ولذا، فإن الأبراج المُصنّفة كمنشآت اقتصادية، ستبقى على حالها، إلى حين الانتهاء من قائمة طويلة من البيوت. «فرحتُم بقصف تل أبيب، سنقصف الآن برجكم، اذهب خلال خمس دقائق وأخبر سكّانه بإخلاء منازلهم»؛ هذا هو نصّ المكالمة التي تلقّاها جواد مهدي، وهو مالك «برج الجلاء»، من ضابط المخابرات الإسرائيلي، قبل أن تُسوّى طبقات البرج الأحدى عشرة بالأرض، وهو السيناريو نفسه الذي كان قد تكرّر سابقاً في ستّة أبراج أخرى دُمّرت خلال الحرب، من وُجهة نظر إسرائيلية، فإن سياسة تدمير الأبراج السكنية حقّقت منجزاً سريعاً في وقْف حرب العام 2014؛ ففي الأيام الأخيرة من الحرب، شرعت إسرائيل في تدمير 10 أبراج تضمّ المئات من الشقق السكنية، في إطار قرار «إعادة غزة إلى العصر الحجري»، وهو ما أجبر المفاوض الفلسطيني على وقف إطلاق النار، من دون تحقيق جملة من الاشتراطات المتمثّلة في كسر الحصار عن قطاع غزة بشكلٍ كامل. وفي السنوات الفاصلة بين حربَي 2014 و2021، كرّر القادة الإسرائيليون الضرْب على معزوفة: «سنبدأ الحرب من حيث انتهينا في عام 2014، أي بتدمير الأبراج». شكّلت الأبراج هاجساً نفسياً حقيقياً لدى السكّان في القطاع، وربّما كان التباطؤ في عملية إعمارها متعمّداً لتذكير المواطنين والمقاومة، على الدوام، بالكلفة العالية التي يستجلبها قرار خوض المواجهة مع الاحتلال، وهو ما يصفه المحلّل السياسي، أيمن الرفاتي، بأنه «سياسة كيّ الوعي الجمعي للسكّان، وإفهامهم بأن ما دُمّر سيبقى على حاله، وبأن خسائر أيّ حرب على الصعيدَين الاقتصادي والعمراني لن تُعوَّض». وفي معركة «سيف القدس»، وُضعت جميع الأبراج الشاهقة في القطاع في المهداف، إمّا بالتدمير الفعلي الذي بدأ بـ«برج هنادي» المكوّن من 12 طابقاً، وأجبر المئات من الصحافيّين على افتراش أرض «مستشفى الشفاء» التي نقلوا إليها مكاتبهم ومعدّاتهم، واتّخذوها مقرّاً طارئاً للتغطية، أو بإشاعة نيّة التدمير من دون تنفيذها فعلياً، الأمر الذي يعود، وفق الرفاتي، إلى تدشين المقاومة معادلة: «قصْف أيّ برج، يقابله قصف تل أبيب بمئات الصواريخ». إذ إنه في أعقاب هذا التهديد الصادر عن «أبو عبيدة»،

> **بعد سبعة أشهر على انتهاء الحرب، لم يُنجَز من عملية إعادة الإعمار الخاصة بالأبراج سوى إزالة الركام**

الناطق العسكري باسم «كتائب القسام»، «لم تقصف إسرائيل أيّ برج سكني، على رغم أنها أنذرت بعضها بالإخلاء، إلّا أنها كانت تكتفي بضرب شقة سكنية واحدة فيه، وتُبقي عليه قائماً».

انتهت معركة «سيف القدس» بإضافة سبعة أبراج جديدة إلى قائمة إعادة إعمار الأبراج المتعثّرة منذ عام 2014. وقد كان «برج الجوهرة» المكوّن من عشر طبقات، ثاني الأبراج التي قصفتها الطائرات الحربية الإسرائيلية في تلك المعركة. وعلى رغم أن الصاروخَين اللذين استهدفاه أتيا على ثلث أساساته، إلّا أنه ظلّ قائماً بعد قصفه، ليُتّخذ القرار بإزالته تماماً إثر مداولات استمرّت لأسابيع. أمّا لماذا؟ فيجيب الخبير الاقتصادي، محمد أبو جياب، «الأخبار»، بأن «تدمير أيّ برج سكني يمثّل عبئاً كبيراً يُضاف إلى أعباء إعادة الإعمار، لأن الأبراج لا تحظى باهتمام المانحين، والأولوية تُعطى للشقق السكنية التي لا يجد سكّانها مأوى. لذا، فإن وزارة الأشغال التي نجحت عقب حرب العام 2014 في إعادة ترميم عدد من الأبراج التي أصابها دمار جزئي، وأهمّها برج الأندلس في شمال قطاع غزة، تجد أن إعادة الترميم، هي أخفّ الضرر». غير أن قرار الإزالة الكلية التي تستغرق 92 يوماً من العمل، قوبل بحفاوة كبيرة من المالكين، وهو ما يشرحه مالك إحدى الشقق السكنية في «الجوهرة» بأن «إعادة إصلاح البرج كابوس حقيقي كُنّا نُخشاه، نحن نفضّل أن نَنتظر دورنا في التعويض أو إعادة الإعمار لعشر سنين، لا أن يُرمّم البرج الذي تعرّض للقصف». ويُضيف محمد عمر أن «تجربة الأبراج التي أُعيد ترميمها كئيبة جدّاً، حيث يفقد العقار الذي اشتريناه بثمن باهظ جدّاً بالنظر إلى موقعه الاستراتيجي، وبنائه الحديث، ثلثَي قيمته؛ كون البناية تعرّضت للقصف الصاروخي، وفي حالة الجوهرة الذي ضُربت أساساته بصاروخين، ستكون الخسارة مضاعفة، فالشقة التي كان يصل سعرها لـ65 ألف دولار، لن تجد مشترياً لها بـ18 ألفاً».

تدفيع الثمن

يزعم الاحتلال في العادة أن المقاومة تتّخذ من الأبراج السكنية والتجارية، مقرّات عسكرية لها، غير أن الشواهد الميدانية تُثبت أن مُلكية كافة العقارات في الأبراج تعود إلى أربعة أصناف من النشاطات، فإمّا أن تكون شققاً سكنية، أو مكاتب صحافية، أو محالّ تجارية، أو مكاتب إدارية للشركات والمؤسّسات الدولية. ووفقاً للصحافة الإسرائيلية، فقد استخدم جيش الاحتلال الأبراج السكنية لتنفيس غضب الشارع الإسرائيلي، الذي لم يقبل أن يرى عاصمته الإدارية والسياسية، تل أبيب، تُستهدف في تحدٍّ واضح من المقاومة. وفي الاتجاه نفسه، يعتقد الرفاتي أن «تحديد المقاومة لساعة قصف تل أبيب، وساعة وقف النار، ساهم في زيادة الغضب الإسرائيلي تجاه المؤسسة الأمنية في كيان الاحتلال، لذا شكّل قصف الأبراج وما يرافقه من عاصفة نفسية في الشارع الغربي، متّسعاً للتفريغ، ولزيادة كلفة الحرب وتعقيد ملفّ إعادة الإعمار أيضاً، طمعاً في تحصيل أثمان سياسية مُقابله». من جهتها، تؤكّد مصادر مطّلعة في المقاومة أنه لا يوجد أيّ دليل على أن الأخيرة استخدمت أيّاً من الأبراج لأغراض عسكرية، خصوصاً أنها تمتلك مواقع خاصة بها، تُغنيها عن تعريض حياة السكّان للخطر. وتُضيف المصادر متهكّمة أنه «إذا كانت إسرائيل تعتبر المحطّات الفضائية التي تنقل خطاب المقاومة مقرّات عسكرية، فالأمر مختلف».

حسابات الإعمار

بعد سبعة أشهر على انتهاء الحرب، لم يُنجَز من عملية إعادة الإعمار الخاصة بالأبراج سوى خطوة إزالة الركام، بحسب مالك «برج الجلاء»، الذي يقول «(إننا) بدأنا بإنجاز الخرائط والمخطّطات الهندسية، واتممّنا تجهيزها على أكمل وجه، لكن لم نبدأ بأيّ خطوة عملية لإعادة البناء». ويلفت مهدي إلى أن «أكبر الهواجس التي نعيشها هو أن يتكرّر سيناريو حرب العام 2014، فعلى بُعد مئات الأمتار منّا، نرى أثناء تنقّلنا أرض برج الباشا فارغة، تنتظر منذ سبع سنوات إعادة الإعمار». من جهته، يُشير ناجي سرحان، وهو وكيل وزارة الأشغال في قطاع غزة، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «المانحين يضعون المنازل السكنية في أولوية إعادة الإعمار، وتُصنَّف الأبراج على أنها منشآت اقتصادية وليست سكنية، على رغم أنها تُؤوي المئات من الأسر، لذا، فهي تقبع في ذيل قائمة الأولويات». ويلفت سرحان إلى أن «عدد الوحدات السكنية التي دُمّرت إثر قصف الأبراج، يتجاوز الـ450 وحدة، وكانت تؤوي قرابة ثلاثة آلاف مواطن». ويؤكد أنه «حتى اللحظة، خطوة إعادة الإعمار تتمّ ببطء، فقد تلقّى مالكو 78 وحدة سكنية مدمّرة بشكل كلّي الدفعة الأولى لإعادة إعمار منازلهم، من المنحة القطرية». ويبيّن أن «قيمة خسائر الأضرار الجزئية بلغت نحو 42 مليون دولار، وحتى الآن يوجد تعهّدات بـ20 مليوناً، ما يعني أن 50 في المئة من الأضرار الجزئية تحت العمل، إمّا تمّ تعويضها أو جاري التعويض». والجدير ذكره، أخيراً، أن العدوان تسبّب بتدمير 1335 منشأة سكنية بشكل كامل أو بليغ، فيما لحق الضرر المتوسّط والجزئي بحوالى 12 ألفاً و886 منزلاً، بحسب المكتب الإعلامي الحكومي في غزة.

كيوسك الصحافة

فنزويلا 2022: من المقاومة إلى الانتعاش

تحت عنوان «فنزويلا: من المقاومة إلى الانتعاش في الإنتاج والرعاية الاجتماعية»، نشر خيسوس فاريا، رئيس اللجنة الدائمة للاقتصاد والشؤون المالية والتنمية الاقتصادية التابعة لـ«الجمعية الوطنية» وعضو القيادة الوطنية لـ«الحزب الاشتراكي الموحّد الفنزويلي» (PSUV)، مقالاً تحليلياً في صحيفة «Liberation News» التابعة للحزب، حول الأوضاع التي مرّت بها البلاد منذ محاولة الانقلاب، برعاية أميركية، عام 2018، على الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو. افتتح فاريا مقاله بالحديث عن آثار الحصار الأميركي الذي وصفه بأنه «جريمة إبادة جماعية بحقّ شعبنا»، لافتاً إلى أن «التكلفة الاقتصادية للعقوبات غير القانونية التي فرضتها واشنطن وحدها، تجاوزت الـ120 مليار دولار، وأثّرت على الأمّة بأكملها، ولكن بشكل أساسي على صناعة النفط، قلْب الاقتصاد الفنزويلي»، حيث أدّت إلى انخفاض الإنتاج من مليونَي برميل يومياً عام 2017، عندما فرضت إدارة دونالد ترامب أولى عقوباتها، إلى مستوى قياسي وصل إلى أقلّ من 150 ألف برميل يومياً العام الماضي، وبالتالي انكماش دراماتيكي في الصادرات النفطية التي تُشكّل 95% من دخْل البلاد من العملة الصعبة الأجنبية، و 70% من الإيرادات المالية. كذلك، تمّت مصادرة الأصول الفنزويلية في الخارج، الأمر الذي كبّد الدولة خسارة تجاوزت الـ35 مليار دولار. وفي المجمل، تسبّب تعطيل محرّكَين أساسيَّين للنموّ الاقتصادي، بتقهقر النشاط الإنتاجي، وتسريع عملية التضخم، وتراجع الواردات، وتدهور الدخل المالي للدولة؛ وتبعاً له ارتفاع التكلفة المعيشية، وتردّي الخدمات العامة، فضلاً عن انخفاض العمالة والأجور، وتهاوي الضمان الاجتماعي، وبالتالي اتّساع رقعة الفقر.

هذه النتائج اعتبرها فاريا «منطقية»، على اعتبار أن «العدوان الأميركي على كاراكاس هدف إلى خلق أزمة اقتصادية خانقة، تؤدي إلى سيناريو من عدم القدرة على الحُكم والفوضى، وبالتالي الإطاحة بالحكومة من قِبَل الشعب، أو اندلاع حرب أهلية أو تدخّل أجنبي لأغراض إنسانية». ومن هنا، رأى الكاتب أن الأزمة التي مرّت بها البلاد، «ليست بسبب عوامل داخلية أو أليات تقليدية تُحدّد أداء الاقتصاد»، بل إنها «نتاج هجوم شرس أطلقته الغطرسة الإمبريالية ضدّ حكومة تُمارس سيادتها وتتحدّى الـ20 في ساحتها الخلفية». إزاء ذلك، كان على فنزويلا، وفق فاريا، «التغلّب على الأزمة السياسية أولاً، لتتمكّن تالياً من إعادة تنشيط الاقتصاد»، الذي بدأ استرداد عافيته منذ النصف الثاني من العام الماضي، وهو ما يمكن إرجاعه، بحسب المسؤول الفنزويلي، إلى عدّة عوامل أبرزها:

أوّلاً، استعادة إنتاج النفط، والذي عاد ليرتفع إلى أكثر من 900 ألف برميل يومياً، بفعل العمل الدؤوب لموظّفي قطاع النفط، وقدرتهم على تخطيط العمليات التكنولوجية وإدارتها وتحسينها، إضافة إلى التكيّف مع ظروف الحصار. ثانياً، قانون مكافحة الحصار، والذي تمّ بموجبه تأسيس شركات خاصة تعمل على تطوير خطط استثمارية تحت إشراف الدولة الفنزويلية.

ثالثاً، حلفاء فنزويلا الذين قدّموا لها مساعدات عديدة، وعلى رأسهم إيران التي تحدّت العقوبات الأميركية، وساهمت في زيادة الإنتاجية الفنزويلية في مجالات مختلفة أبرزها النفط.

رابعاً، الاستثمار الخاص، الذي زاد بشكل تدريجي ومستقلّ عن عائدات النفط، ولا سيما في قطاعات السلع والخدمات، وهو ما أنبأ بعودة الثقة والأمان الضروريَّين للاستثمار، تبعاً لعودة الاستقرار السياسي.

خامساً، وهو العامل الأساسي في هذا الانتعاش؛ تماسُك سياسات الحكومة الاقتصادية، وتناسقها في مواجهة العديد من التحدّيات، خصوصاً لناحية اللتفاف على العقوبات بمساعدة الحلفاء الدوليين الذين يعانون من الحصار نفسه مثل كوبا وإيران.

سادساً، العاملون في قطاعات الصناعة الأساسية، والذين «حقّقوا في هذه الأزمة قفزة نوعية في قدرتهم على النضال سياسياً واقتصادياً»، وتمكّنوا، بفضْل تنظيمهم ووعيهم، من زيادة إنتاج الإمدادات الأساسية للصناعات الرئيسة في البلاد.

وعن التحدّيات التي تنتظر الحكومة عام 2022، اعتبر فاريا أنه على رأس القائمة يأتي الحفاظ على القوّة السياسية والتفوّق في مواجهة «الثورة المضادّة»، بالإضافة إلى مواصلة مكافحة البيروقراطية والفساد. وفي ما يتعلّق بالسياسة الاقتصادية، رأى أن هناك أربع مهامّ أساسية يتعيّن على الحكومة إنجازها، وهي: استعادة القدرة التمويلية للجهاز الإنتاجي وتجنّب تشغيل توربينات التضخّم؛ حماية استقرار صرف العملات من خلال زيادة تدفّق العملات الأجنبية للتمكّن من الدفاع عن العملة الوطنية؛ حماية الإنتاج الوطني بالتعريفات من دون المخاطرة بمستوى التوريد المحلي؛ والاستمرار في زيادة الإيرادات الضريبية للبلاد. وشدّد على أنه، وبالمثل، يجب تعزيز إنتاج الصناعات الأساسية، ليس فقط من خلال الجهود التي يبذلها العمال، بل وأيضاً من خلال ضخّ رأس المال ودمج تقنيات جديدة، وهو ما سيُساعد في إعادة تنشيط الجهاز الإنتاجي المحلّي بأكمله، وبالتالي تقليل واردات الموادّ الخام والمدخلات بشكل عام.

أمّا بخصوص «دولرة الاقتصاد»، فلفت الكاتب إلى أنها، وعلى الرغم من مساهمتها في استعادة الإنتاج من خلال ضخّ الموارد الأجنبية، إلّا أنها ليست قابلة للتطبيق كصيغة للتنمية الاقتصادية، مستدركاً بأنه «مع عودة الاقتصاد إلى طبيعته الكاملة، سوف نستفيد من الجوانب الإيجابية لهذه الظاهرة كصمّام للخروج من وضع خطير للغاية نتج من عقوبات اليانكي التي». كذلك، شدّد فاريا على ضرورة أن يشهد قطاع الاستثمار بفرعَيه العام والخاص انتعاشاً، لتعزيز التوسّع في الإنتاج الوطني، موضحاً أن «الثقة، والنموّ الاقتصادي، والقوّة المالية للدولة، والانفتاح على رأس المال الأجنبي بتوجيه من الدولة، ومناخ الثقة والاستقرار.... كلّ ذلك سيحدّد» سلوك هذا القطاع. ورأى أن الإيرادات الآتية من إعادة تنشيط الإنتاج، يجب توجيهها نحو الاستثمار في الخدمات العامة (الكهرباء والمياه والغاز والوقود)، ورفع الأجور، وتحسين كلّ ما يتعلّق بالحماية والضمان الاجتماعي (المعاشات التقاعدية، والتعليم، والصحة...).

وأخيراً، توقّع الكاتب أن يكون عام 2022 عام الانتعاش، لكن ذلك يظلّ مشروطاً بمواصلة كاراكاس قتالها ضدّ العقوبات، التي لا يبدو أن واشنطن تنوي رفعها. كما أن الدفاع عن الاستقرار السياسي ضروري للغاية لضمان الثقة اللازمة للاستثمارات، فيما يتوجّب تعديل السياسات الاقتصادية بما يتلاءم مع الوقائع المتغيّرة. وختم فاريا مقاله بالتأكيد أن «توطيد سلطة الشعب، وتقوية المنظمات الثورية مع الحزب الاشتراكي الموحّد والاتحاد المدني العسكري... شروط أساسية لمواصلة التقدّم في الانتقال إلى الاشتراكية»، مُنبّهاً في الوقت نفسه إلى أن «الدمج الكامل لهذه العوامل يعتمد أيضاً على الظروف المادية التي توفّر جهازاً إنتاجياً قوياً لتوليد الدخل من أجل التنمية الشاملة. وبهذا المعنى، فإن أهمّ استراتيجية اقتصادية تُقرّبنا من الاشتراكية لا تزال هي التصنيع... إن تعزيز رفاهية الشعب، وهو حقيقة أساسية في بناء الاشتراكية، تحدّده درجة تطوّر القوى المنتِجة. وبالتالي، فإنه من الضروري التقدّم على طريق التصنيع في البلاد».

(الأخبار)

سوريا

رسائل دموية من «الهَول»: «داعش» يصعّد لنيْل مطالبه

تسلك الاغتيالات التي تنفّذها خلايا «داعش» في مخيم الهول، منحىً تصعيدياً لافتاً، في ظلّ استهدافها عاملين دوليين ومحليين وكوادر طبّية. وإذ يحاول التنظيم، من خلال ذلك، دفْع «التحالف الدولي» إلى الاستجابة لمطالبه المتّصلة بالمخيّم، فالظاهر أن واشنطن و«قسد» لن تُوفّرا هذه الفرصة للدفْع في اتّجاه تثبيت وجودهما في تلك المنطقة

الحسكة - **إيهم مرعي**

باتت الاغتيالات التي تنفّذها خلايا تنظيم «داعش»، والتي تُطاول مُقيمين بالتعاون مع «قسد» داخل مخيم الهول الذي جُمّعت فيه عائلات عناصر من التنظيم - يُقدَّر عددها بـ2500 ـ حدثاً مُعتاداً داخل «مدينة الخيام»، التي يقطُنها نحو 60 ألف شخص. إلّا أن ما حدث قبل أيام، من استهداف أحد العاملين في بعثة «الصليب الأحمر الدولي»، وقَبْله اغتيال أحد عناصر «الهلال الأحمر الكردي»، وبعده طعْن الطبيب الإيزيدي المعروف بـ«الدكتور الأجي» بسكّين أثناء تواجده في القسم المعروف بـ«المهاجرات»، أنبأ بسلوك عمليات التصفية تلك منحًى جديداً وغير مسبوق، عنوانه استهداف العاملين الدوليين والمحليين والكوادر الطبّية في المنطقة. وفي آخر حلقات هذا المسلسل، شهدت بلدة الطيانة في ريف دير الزور الشرقي، اغتيال الطبيب عبدالله المفضي، أمام «مشفى الكندي»، لبُعقبه نشوبُ حريق داخل ثلاث خيم في قسم عوائل التنظيم، أشارت وسائل إعلام مقرّبة من «قسد» التي تشرف على «الهول» إلى أنه «مُفتعَل»، وأن «عناصر أمن المخيّم باشروا التحقيق فيه لمعرفة ملابساته». وتحت وطأة تصاعد أعمال العنف هذه، أعلنت غالبية المنظّمات الدولية والجمعيات الخيرية والأهلية العاملة في المجالّين الإنساني والإغاثي هناك، تعليق عملها حتى إشعار آخر، وذلك بعد يوم واحد من اتّخاذ «الهلال الكردي» خطوة مماثلة، وسحب عناصره كافة من المنطقة.

وفي استقصاء أسباب تصعيد مصادر أمنية مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن «عدداً من متزعّمي داعش، المعتقَلين لدى قسد، طالبوا ممثّلين عن التحالف الدولي، بضرورة الإسراع بتقديمهم للمحاكمة، وتحسين ظروف اعتقالهم، مع المطالَبة بعدم تسليم اللاجئين العراقيين في المخيّمات للحكومة السورية، ومعرفة وُجهة العناصر الذين يقوم التحالف بنقلهم من السجون». وتعتبر المصادر أن «قيام التحالف وقسد بتسليم دفعتَين من النازحين العراقيّين للحكومة العراقية أخيراً، والتأخّر بإيصال رسائل عناصر التنظيم إلى ذويهم عبر منظّمات دولية، هما في الغالب الأسباب الكامنة وراء التصعيد المتعمّد داخل الهول». وإذ ترى أن «هذا التصعيد يكشف عن وجود تواصل مباشر بين سجناء داعش في المعتقلات، وخلايا تابعة لهم داخل المخيم»، فهي تنّهم «التحالف الدولي وقسد بالتراخي في ضبط الأمن هناك»، مُستبعدةً أن «تكون لهذه التحرّكات تأثيرات على صعيد قدرة داعش على إعادة إحياء نفسه، وتشكيل قوّة حقيقية تهدّد الأمن داخل المخيم أو في عموم المنطقة».

من جهتها، لن تقف «قسد» مكتوفة الأيدي في وجه تصاعُد نشاط «داعش» عملياته في «الهول» خلال الشهرَين الفائتَين بشكل خاصّ، يظهر أن التنظيم يسعى لتشديد ضغوطه على «التحالف الدولي» و«قسد»، من أجل حثّلهما على الاستجابة لمطالبه الخاصّة بتحسين الواقع المعيشي للمخيم. وفي هذا الإطار، تكشف

> **لن تقف «قسد» مكتوفة الأيدي في وجه تصاعُد نشاط «داعش» داخل المخيّمات**

مصادر أمنية مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن «داعش» داخل المخيّمات والمعتقلات التي تشرف عليها هي، بل ستسعى حثماً لاستغلال هذا التصاعد، من أجل إعادة لفت نظر «المجتمع الدولي» إلى أهمية إمساكها بملفّيْن حسّاسَيْن يهدّدان الأمن والسلم الدوليَّين، هما عناصر التنظيم في المعتقلات، وعائلاتهم في المخيمات، وحضّه على منحها مزيداً من الدعم تحت شعار تمكينها من ضبط أمن المخيّمات والسجون. كما أن «التحالف» سيجد في ذلك فرصة لتعزيز وجوده في المنطقة، بحجّة ضمان عدم تمكّن «داعش» من إعادة بناء نفسه، وتدارُك أيّ خطر جديد في المنطقة.

طالب عدد من معتقلي «الداعش» ممثّلين عن «التحالف» بضرورة الإسراع بتقديمهم للمحاكمة (أرشيف)

اليمن

خارطة سيطرة مضطربة في شبوة
قوّات صنعاء بمواجهة «العمالقة»: إشغال لحماية مأرب والبيضاء

رغم الزخم الكبير الذي احاط به التحالف السعودي - الإماراتي سيطرة الميليشيات التابعة له على مساحات من مديريّات بيحان الثلاث، إلّا ان نطاق السيطرة هذا يبدو غير مستقرّ، ومحفوفاً بمخاطر متزايدة، خصوصاً في ظلّ استمرار تواجد قوات صنعاء في مساحات موازية من تلك المديريّات، وإذ لا يزال الجيش و«اللّجان الشعبية» يسيطران على المواقع الحاكمة التي تمدّ خطّ دفاع عن مكاسبهما في مأرب والبيضاء. فهما يتيّحان في شبوة استراتيجية الاستنزاف، حتى لا يُتيحا مجالاً للميليشيات الموالية لـ«التحالف» لتثبيت بقعة سيطرتها، والانطلاق منها لتهديد جنوب مأرب

صنعاء ــ **رشيد الحداد**

أعلنت ميليشيات «العمالقة» الموالية للإمارات، الثلاثاء الماضي، انتهاء عملياتها شمال محافظة شبوة، باستعادتها مديريات بيحان الثلاث (بيحان، عسيلان، عين)، التي كانت سقطت تحت سيطرة حركة «أنصار الله» منتصف تشرين الأول من العام الماضي، من دون قتال يُذكر، وبالتعاون مع قبائل المنطقة. هذا الإعلان الذي احتفت به الرياض في اليوم نفسه في مدينة عتق، مركز المحافظة، يبدو مجافياً في جوانب منه للواقع؛ إذ إن الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» لا يزالان يسيطران على مساحات واسعة في المديريات المذكورة، بعدما انسحبا الأسبوع الماضي من كافة المساحات المفتوحة، والتي لا تحوز - بمعظمها - أهمية استراتيجية، وبحسب مصادر محلّية مقرّبة من «المجلس الانتقالي الجنوبي»، الموالي لأبو ظبي، فإنّ «العمالقة» سيطرت على نسبة لا تتجاوز 60% من بيحان، فيما معظم المناطق التي استعادتها في عسيلان كانت تحت سيطرة مسلّحين قبليين، والبقيّة غادرتها قوات صنعاء تحت ضغط غارات التحالف السعودي - الإماراتي، والتي تجاوزت الـ70 غارة في اليوم الواحد. هكذا، يبدو أن خطوات الجيش و«اللجان» لم تكن ارتجالية، خصوصاً أنهما حوّلا المناطق التي فقداها إلى «محارق موت» حقيقية للمليشيات المدعومة إماراتياً، والتي تجاوزت خسائرها البشرية في هذه الواقعة، ما تكبّدته في معركة الساحل الغربي طيلة سنوات.

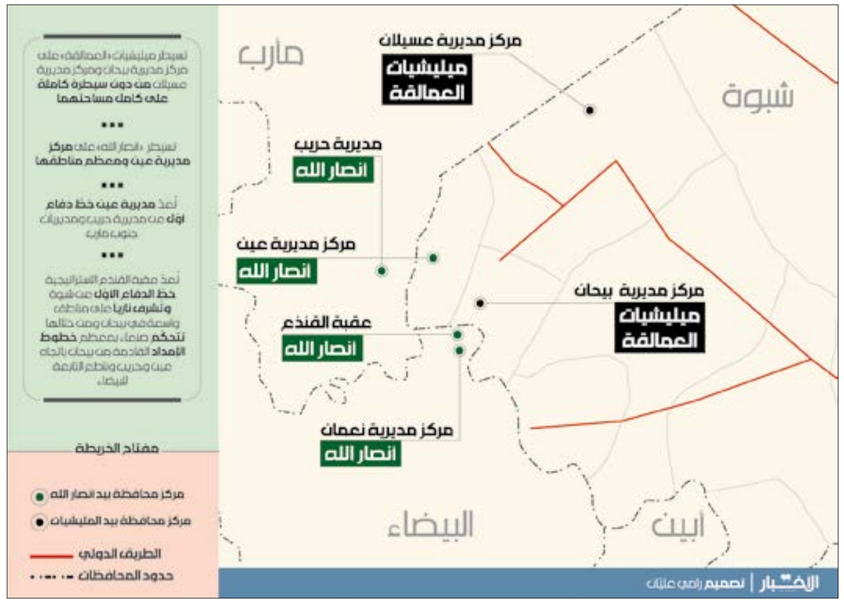

خارطة السيطرة

تُشير خارطة سيطرة طرفي الصراع إلى أن الجيش و«اللجان» حافظا على أهمّ مكاسبهما في المديريات الثلاث؛ إذ إن قوّاتهما لا تزال تتواجد في عدد من مناطق عسيلان كجندلة وصوفة والصفحة، وأيضاً في عدد من مناطق بيحان كالجوهرة والعطف وغنية واللخف، فيما مديرية عين لا يزالان يسيطران على مركزها (الحجب) وعدد من مناطقها. وعلى رغم توغّل «العمالقة» في مناطق في شمال مديرية عين، تتّبع إدارياً لمديرية حريب جنوب محافظة مأرب، إلّا أن الخطّ الدولي الرابط بين محافظتي شبوة ومأرب لا يزال تحت سيطرة قوات صنعاء، التي تحتفظ بأهمّ مكاسبها في مناطق شرق البيضاء الواقعة على تماس مع مديريات بيحان. وفي الوقت الذي تحدّثت فيه وسائل إعلام موالية لحزب «الإصلاح» عن دخول «العمالقة» مركز مديرية نعمان التابعة للبيضاء، والواقعة على الحدود مع بيحان قبل أيام، وعدّت ذلك مؤشّراً إلى تقدّم تلك الميليشيات صوب البيضاء، أفادت مصادر محلية «الأخبار» بأن منطقة الساحة، مركز المديرية المذكورة، والتي تقع أسفل عقبة القنذع الاستراتيجية، لا تزال تحت سيطرة الجيش و«اللجان»، يُضاف إلى ما تقدّم، أن قوات صنعاء استعادت، مساء الخميس، عدداً من المواقع الاستراتيجية في وادي النحر التابع لمديرية بيحان، وسيطرت على الجبل المطلّ على الكراع، والثاني المشرف على الجوهرة، والثالث المطلّ على العطف.

مسار العمليات

يُشير مسار العمليات الجارية في مديريات بيحان، إلى أن قوات صنعاء نجحت في استنزاف ميليشيات «العمالقة» التي قُتل أكثر من 550 من عناصرها حتى فجر أمس الجمعة، وبدأت باستعادة بعض المناطق التي كانت خسرتها. فعلى مدى الأيام الماضية، اصطدمت «العمالقة» بعدد من عمليات الاستدراج في مناطق تابعة لمديريتَي عين وبيحان، توازياً مع تلقّيها هجمات صاروخية كثيفة كبّدتها خسائر كبيرة. وفي ظلّ تفوّق الجيش و«اللجان» في المناطق الجبلية، يبدو نطاق سيطرة «العمالقة» في مديريات بيحان، حيث تفقد المزيد من المكاسب التي حقّقتها منذ مطلع الشهر الجاري، غير مستقرّ. فمناطق السوداء والضاحة وشقير ونجد مرقد وجعدر وغيرها في مديرية عين، الواقعة على الحدود مع مديرية حريب، لا تزال تحت سيطرة قوات صنعاء. وعلى رغم توغّل «العمالقة» في مناطق واقعة في نطاق حريب، كالدرب والروضة والذراع، إلّا أنها سرعان ما تراجعت تحت ضغط صامدَين في مرتفعات المديرية الواقعة في نطاق محافظة البيضاء، لصدّ أيّ هجمات محتملة ضدّ مناطق سيطرتهما هناك.

عسيلان وبيحان الموالية لـ«أنصار الله»، دفعت عدداً من أبناء قبائل بيحان إلى الالتحاق بدورهم بصفوف الجيش و«اللجان».

وبالنتيجة، تسيطر «العمالقة»، حتى الآن، على مركز مديرية بيحان ومركز مديرية عسيلان (من دون سيطرة كاملة على كامل مساحتهما)، فيما تسيطر قوات صنعاء على مركز مديرية عين ومعظم مناطقها، علماً أن الأخيرة تُعدّ خطّ دفاع أوّل عن مديرية حريب ومديريات جنوب مأرب بشكل عام. وفي اتّجاه شرق البيضاء، يفرض الجيش و«اللجان» سيطرتهما الكاملة على عقبة القنذع الإستراتيجية، التي تُعدّ خطّ الدفاع الأوّل عن شبوة، وتحوز أهمية استراتيجية؛ كون مَن يسيطر عليها يتحكّم بمسار المعركة في مناطق واسعة في بيحان الواقعة تحت السيطرة النارية للقنذع، ومن خلالها تتحكّم قوات صنعاء بمعظم خطوط الإمداد القادمة من بيحان باتجاه عين وحريب، وكذلك نحو لمصادر محلية، فإن قوات تابعة لـ«الانتقالي» انتشرت قبل أيام في «العمالقة» في مناطق واقعة في نطاق للجيش و«اللجان» تواجد عسكري رمزي فيها، فيما لا يزال الأخيران يتمسّكان بمواقعهما في مديرية حريب، وكذلك نحو الضاحة وشقير ونجد مرقد وجعدر وغيرها في مديرية عين، الواقعة على الحدود مع مديرية حريب، لا تزال تحت سيطرة قوات صنعاء. وعلى رغم توغّل «العمالقة» في مناطق واقعة في نطاق حريب، كالدرب والروضة والذراع، إلّا أنها سرعان ما تراجعت تحت ضغط صامدَين في مرتفعات المديرية الواقعة في نطاق محافظة البيضاء، لصدّ أيّ هجمات محتملة ضدّ مناطق سيطرتهما هناك.

> **يبدو نطاق سيطرة «العمالقة» في مديريات بيحان الثلاث غير مستقرّ**

السودان

الأمم المتحدة لا تخرق الانسداد: بوادر دوّامة عنف

دخلت المواجهة القائمة في السودان، بين الحُكم الانقلابي من جهة، والشارع المُعارض من جهة أخرى، مرحلة جديدة، مع استخدام الأجهزة الأمنية الرصاص الحيّ ضدّ المتظاهرين، وإعلان سقوط قتيل من الشرطة، فيما راى مراقبون أنه يستهدف التوطئة لموجة أكثر قساوة من العنف. وياتي ذلك فيما لا يزال الأفق السياسي مسدوداً في ظلّ عجز الانقلابيين عن تشكيل حكومة إلى الآن، وإصرار المعارضين على رفْض التجاوب مع أيّ مبادرة «لا تُخرج العسكر من المعادلة السياسية»

الخرطوم ــ **عبد الجليل سليمان**

تتواصل في السودان الاحتجاجات الشعبية الرافضة لحُكم العسكر، والمُطالبة بحُكم مدني، بالوتيرة نفسها التي سارت عليها منذ انقلاب قائد الجيش، عبد الفتّاح البرهان، على شركائه المدنيين في المرحلة الانتقالية، في 25 تشرين الأول الماضي. لكن الجديد في المشهد هو استخدام الرصاص الحيّ من قِبَل الأجهزة الأمنية، لأوّل مرّة أوّل من أمس، لفضّ التظاهرات، ما أدّى إلى إصابة العشرات بجروح، بحسب «لجنة أطباء السودان المركزية»، فيما أعلنت الشرطة مقتل ضابط رفيع «أثناء أداء واجبه في حماية التظاهرات»، و«إلقاء القبْض على الفاعل». ويرى مراقبون في بيان الشرطة «توطئة لممارسة أقصى حالات القمع الممكنة»، وإشارة إلى أن «السلطة القائمة حرّمت أمرها في إعلان الحرب على المتظاهرين»، فيما تُعرب الناشطة في تنظيم التظاهرات، سماح فضل المولى، في تصريح إلى «الأخبار»، عن اعتقادها بأنه ليس «بإمكان الانقلابيين مجابهتنا بعُنف أكثر مما هو ماثل»، قبل أن تضيف ساخرة: «ربّما يمكنهم استخدام الطائرات والصواريخ».

من جهته، يَعتبر المحلل السياسي، صلاح الدين الفاتح، أن "الوصول إلى تسوية مع الانقلابيين أمر صعب"، مستبعداً، في حديث إلى «الأخبار» حدوثه في القريب العاجل؛ «فانقلاب البرهان كان قفزة في المجهول، فالرجل لم يحسب الأمر جيّداً، لكنه كعادة العسكريين رفض التراجع، حتى أصبح التراجع مستحيلاً الآن، وكلّما مرّ الوقت، تورّط البرهان أكثر». ومع مُضيّ أكثر من شهرَين على الانقلاب، لَمّا يتمكّن البرهان من تعيين حكومة جديدة في أعقاب استقالة عبد الله حمدوك بداية العام، ما أدخل البلاد في أزمة دستورية وسياسية لم تشهدها من قَبل. وفي ظلّ هذا الانسداد، وسقوط قتلى من المحتجّين، فإن القوى الرافضة ستزداد تمسّكاً بمطلب إطاحة البرهان ومحاكمته، وهو «ما يصعُب مهمّة فولكر بيرتس، رئيس بعثة الأمم المتحدة المتكاملة لدعم المرحلة الانتقالية في السودان، والذي يحاول رأب الصدع بين جميع ألوان الطيف السياسي السوداني، من خلال استعادة الشراكة بين المدنيين والعسكريين».

وفي هذا الاتّجاه، يشدّد قيادي في لجان المقاومة على أن "أيّ مبادرة لا تتضمّن عودة الجيش إلى ثكناته، غير مرحّب بها". ويَعتبر القيادي، الذي فضّل عدم الكشف عن اسمه، في حديث إلى «الأخبار»، أن «الشراكة مع المكوّن العسكري أثبتت فشلها وضيق أفقها، بحيث انقلبوا مرّتَين عليها». ويوضح أن «الحوار مع موفد الأمين العام للأمم المتحدة ليس مرفوضاً في حدّ ذاته، وإنّما المرفوض هو إشراك الانقلابيين فيه، لأنهم في تصوّرنا غير جديرين بالثقة، كما أنهم متّهَمون بقتل وإصابة المئات من المتظاهرين السلميين، ولا يزالون يفعلون الشيء نفسه»، مشترطاً «إخراج العسكر من المعادلة السياسية أولاً». ثمّ يمكن أن نتحدّث عن مبادرة أممية، ولا أظنّ أننا نحتاج إليها حينها». ويتماهى موقف «لجان المقاومة» مع موقف «تجمع المهنيين السودانيين» ــ بنسخته المناوئة للانقلاب ــ والذي عبّر عنه المتحدّث الرسمي باسم التجمع، مصطفى مهدي النّور، في حديث إلى «الأخبار»، مؤكداً «تمسّك لأنهم في تصوّرنا غير جديرين بالانقلاب بشكل كامل».

> **تؤكد «لجان المقاومة» أن أيّ مبادرة لا تتضمّن عودة الجيش إلى ثكناته غير مرحّب بها**

إزاء ذلك، تبدو البلاد مفتوحة على سيناريوات سوداوية؛ فـ«مجلس السيادة» الذي شكّله البرهان عقب انقلابه، عاجز عن القيام بمهامّه الرئيسة، فيما الحكومة المستقيلة تفتقر إلى رئيسها، عبد الله حمدوك، لتسيير المرحلة، في ظلّ ورود أنباء عن مغادرة حمدوك السودان للالتحاق بعائلته في الإمارات. وفيما تشتدّ وطأة الأزمة الاقتصادية وسط ارتفاع غير مسبوق في الأسعار، وشبه انقطاع في خدمات الكهرباء والماء وغاز الطبخ، لا يزال البرهان عاجزاً عن تثبيت أركان سلطته، وفق ما توحي به عدّة مؤشّرات؛ من بينها رفْض بعض السفراء السودانيين في الخارج الانصياع لأوامر بالاستقالة، واستمرارهم في ممارسة عملهم بشكل اعتيادي، مثلما فعل نور الدين ساتي، سفير السودان إلى واشنطن، والذي قال في تصريحات صحافية الأسبوع المنصرم، إن الحكومة الأميركية لم تعترف بقرار إقالته، وإنه لا يزال في موقعه كسفير حتى الآن.

فيما تشتد وطأة الأزمة الاقتصادية لا يزال البرهان عاجزاً عن تثبيت أركان سلطته (أ ف ب)

تونس

«شارع الثورة» مُقفِراً: سعيد يمنع الاحتجاج

استفاق «شارع الثورة» صباح أمس محاصرا بالحواجز الأمنية ومحاطا بحواف من التشكيلات المختلفة (أ ف ب)

تونس ـ **أمل الهذيلي**

على مدار السنوات الماضية، كان شارع الحبيب بورقيبة في العاصمة التونسية، يتحوّل إلى «معرض سياسي» متنوّع في الـ14 من كانون الثاني من كلّ عام، حيث تتجمّع الأطراف السياسية، مختلطة أو كلّ على حدة، حاملة أعلامها وشعاراتها المختلفة حدّ التنافر، على طول الشارع الأكبر الذي صدح فيه صوت المعارض التونسي، عبد الناصر العويني، منذ 11 سنة في ليلة شتوية باردة، بهتافه لتفريقهم. «كنّا هناك... على عتبة خامسة من فيروس «كورونا».

استفاق «شارع الثورة»، صباح الجمعة، محاصراً بالحواجز الأمنية، ومحاطاً بجحافل من التشكيلات المختلفة. ومع اقتراب موعد التظاهر ظهراً، صار الدخول إلى هذا الشارع مهمة شبه مستحيلة، إذ قام أعوان الأمن الذين تواجدوا بأعداد غفيرة، بمنع المترجّلين والسيارات من دخول المنطقة، قبل أن تندلع اشتباكات بين عدد من المحتجّين والأمن، الذي استعمل الغاز المسيل للدموع والمياه لتفريقهم. «كنّا هناك... على عتبة التاريخ... قبل أن تأتي الضباع وبنات أوى ولصوص الفرص... قبل أن يلتحق الجبناء والرماديون وراكبو القطار الأخير... كنّا هناك مكشوفي الوجه والصوت والانتماء، خيارنا وطن حرٌّ وشعب عظيم... كنّا هناك... والشارع يميّز فرسانه من مغتصبيه ولن نكون جسرهم إليه...». بهذه الكلمات، اختار المحامي والناشط السياسي، عبد الناصر العويني، التعليق على المناسبة وما حفّ بها من جدل وتجاذبات سياسية، وهو الذي طُبعت صورته صارخاً في عتمة ليلة هروب الرئيس الراحل، زين العابدين بن علي، في ذاكرة كلّ التونسيين.

أما الأمين العام المساعد لـ«اتحاد الشغل»، سامي الطاهري، فقد كتب في حسابه على «فيسبوك»، تدوينة تضمّنت انتقاداً لإلغاء سعيّد الـ14 من كانون الثاني كتاريخ لإحياء الذكرى السنوية لـ«الثورة»، وتعويضه بالـ17 من كانون الأول. وقال الطاهري إن هذا التاريخ «مُلك التونسيين ولا يُمحى بجرّة قلم». وتابع: «التاريخ لا تحكمه النزوات... والليالي السود (في إشارات إلى الليالي شديدة البرودة) هي ليالي الخصب...».

من جانبه، اعتبر هيكل المكي، القيادي في «حركة الشعب» (المساندة لسعيد)، أن «14 يناير يوم من أيام الثورة التونسية ووجب الاحتفال به على غرار الاحتفال بتاريخ 17 ديسمبر». وأضاف: «نحن نختلف مع الرئيس سعيد في هذه المسألة وفي التركيز عليها بهذا الشكل... أعتقد أن الثورة تراكمات وتاريخ...».

وفي السياق نفسه، رأى الكاتب والباحث الأكاديمي، عادل لطيفي، في تصريح إذاعي، أن «قيس سعيد شخص لا علاقة له بالثورة لا قبلها ولا بعدها... الرئيس تحوّل إلى ثوري بعد الرئاسة، وأراد فرض قراءة جديدة، بإعلاء تاريخ 25 تموز على 14 كانون الثاني».

> **اقتصرت دعوات الاحتفاء بالذكرى على أحزاب ومكوّنات سياسية معارضة للرئيس قيس سعيد**

تقرير

مصر تعتقل «من الجوّ» قيادياً في «حسم»

القاهرة - **الأخبار**

ألقت قوّات الأمن المصريّة القبض على القيادي «الإخواني»، حسام منوفي سلام، المنتمي إلى حركة «حسم»، خلال محاولته الانتقال من السودان إلى تركيا، على متن رحلة «شركة بدر للطيران»، التي كانت في طريقها إلى إسطنبول.

وجرى اعتقال سلام بعدما أبلغ كابتن الطائرة، الركّاب، بوجود عطل فنّي يتوجّب هبوطاً اضطرارياً، فور دخول الأجواء المصرية، ليجري إنزال الجميع لدى نزول الطائرة في مطار الأقصر الدولي، حيث اقتيد ثلاثة منهم إلى التحقيق، بينهم حسام، قبل أن يُسمح للاثنين الآخرين بالمغادرة. ووفق مصادر «الأخبار»، تعتقد السلطات المصرية، التي لم تُصدر أيّ بيان رسمي بشأن التوقيف، «أنها لن تواجه أيّ مشكلة أو عبء قانوني، لأنها لم تجبر الطائرة السودانية على الهبوط داخل عبورها الأجواء المصرية، إنّما كان هبوطها اضطرارياً بناءً على طلب الكابتن». وتُضيف المصادر أن «عملية الاعتقال تمّت بعد مراجعة هوية ركّاب الطائرة، عبر اتّباع الإجراءات الخاصّة بالطيران».

وتعرّض سلام للاستجواب من قِبَل الأجهزة الأمنية في مطار الخرطوم، قبل إقلاع الطائرة، وهو ما يعزّز احتمال حصول تنسيق بين الأجهزة الأمنية في البلدين لإتمام العملية، التي جاءت بعد نحو 8 سنوات من هروب سلام من مصر. وكانت الأجهزة الأمنية المصرية تجهل مكان اختباء حسام، الذي غادر إلى السودان بطريقة غير شرعية، ولم يَظهر ما يُفيد بخروجه من هناك خلال الفترة الماضية، فيما جرى تداول أنباء، بشأن اختفائه قسرياً، اعتقاداً من بعض المنظّمات الحقوقية بأنه موقوف لدى سلطات القاهرة. ويواجه سلام، اليوم، اتّهامات تصل عقوبتها إلى الإعدام، كون السلطات المصرية تعتبره من كوادر حركة «حسم» المُصنَّفة «إرهابية»، و«متورّطاً» في المشاركة في عمليات اغتيال ثلاثة ضبّاط بارزين، بالإضافة إلى «الاشتراك» في تنفيذ ثلاث محاولات اغتيال، أبرزها طالت مفتي الجمهورية السابق، علي جمعة، بالإضافة إلى «التخطيط» لعدّة عمليات أخرى نفّذتها «حسم»، في السنوات الفائتة. وتتوزّع المحاكمات التي تنتظر سلام، بين القضاء العسكري ومحاكم أمن الدولة والقضاء العادي، فيما يُنتظر البيان الرسمي الذي سيَصدر عن وزارة الداخلية المصرية، في وقت لاحق، لكشف مصيره ومكان احتجازه.

وفي هذا السياق، تقول مصادر رسمية، لـ«الأخبار»، إن سلام «سيواجه اتهامات اعترف ببعضها عبر حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي، خلال فترة إقامته في الخارج، كما سيخضع للتحقيق لمعرفة شبكة علاقاته واتصالاته المختلفة، ومَن يساعده داخل وخارج مصر». لافتةً إلى أن «عملية استجوابه والتحقيق معه تجري من قِبَل قيادات أمنية كبيرة، على اعتبار أن سلام من أهمّ الكوادر المقيمة في الخارج». وبحسب المعلومات المتداولة في أروقة السلطة، فإن «بعض الشبّان ممّن تعرّضوا للتوقيف في فترات سابقة من عام 2021، تحدّثوا عن دور حسام في وضْلهم ببعضهم البعض، عبر الخلايا العنقودية، فيما من المتوقّع أن يُسهم الرجل، عبر المعلومات التي سيدلي بها، في كشْف العديد من الشخصيات التي تلعب أدواراً أمنية داخل مصر وخارجها».

يقترب السيتي من التتويج باللقب (أ ف ب)

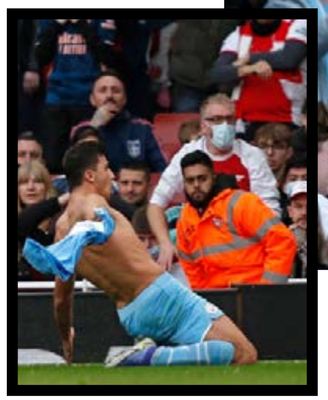

بريميرليغ

مانشستر سيتي x تشيلسي

لندن «لا» ترفع الرّاية البيضاء

يستقبل مانشستر سيتي الإنكليزي نظيره تشيلسي في قمّة الجولة 22 من «البريميرليغ». ستُلعب المباراة بين متصدّر الترتيب العام ووصيفه اليوم (14:30 بتوقيت بيروت) على ملعب الاتّحاد. فلمن ستكون الغلبة؟

حسين فحص

هي مباراة الموسم. «معركة» مرتقبة من شأنها أن تجعل مانشستر سيتي يحلّق وحيداً في قمّة الترتيب، إلّا إذا منعه تشيلسي من ذلك. يحتلّ السيتي صدارة الدوري برصيد 53 نقطة من 21 مباراة ويليه «البلوز» بـ43 نقطة. فارق الـ10 نقاط في هذا الوقت من الموسم إضافةً لتاريخ لقاءات المدرّبين الحديث يُعطي المباراة طعماً خاصاً.

تقابل المدرّبان بيب غوارديولا وتوماس توخيل في ثلاث مباريات خلال الموسم الماضي، وكان لافتاً فوز تشيلسي في المباريات الثلاث. انتصارات متتالية في نصف نهائي كأس الاتّحاد الإنكليزي وإياب الدوري ثم التتويج في نهائي دوري أبطال أوروبا، ساهمت في تقديم أوراق اعتماد توخيل بأفضل طريقة ممكنة في إنكلترا.

أمّا بالنسبة للموسم الحالي، فقد تواجه الفريقان في ذهاب الدوري وفاز فريق غوارديولا بنتيجة (1-0). اتّضح جلياً من خلال التركيز العالي للاعبي السيتي حينها، وردّة فعلهم إضافةً لفرحة غوارديولا العارمة بعد الانتصار، أن ذلك الفوز كان مهمّاً جدّاً للفريق. هو ببساطة ردّ اعتبار، وعودة الثّقة للّاعبين. يتواجه الفريقان اليوم على مفترق طرق. السيتي مسيطر وتشيلسي هو المُلاحِق، مع الإشارة إلى أنّ أيّ نتيجة غير الانتصار للضيف اللّندني سوف تمثّل انتكاسة كبيرة لحظوظه في المنافسة على اللّقب. بدا سباق المقدّمة ثلاثياً قبل أسابيع قليلة، حين طارد تشيلسي وليفربول فريق غوارديولا. ورغم النّدية الكبيرة حينها، انفرد السيتي في المقدّمة إثر فوزه بـ11 مباراة متتالية مقابل تعثّر الطرفين الآخرين خلال فترة «البوكسينغ داي» (مباريات فترتي الميلاد ورأس السنة).

تعثّر ليفربول قبل رحيل محمد صلاح وساديو ماني إلى كأس الأمم الأفريقية ومن المرجّح أن يستمرّ في نزيف النّقاط، أمّا بالنسبة لتشيلسي، فقد غاب عدد من لاعبيه نتيجة الإصابات وتفشّي فيروس كورونا، ما أدّى إلى انخفاض المستوى في أسوأ وقت ممكن. يُحسب لمانشستر سيتي استمراره بالنّسق العالي. فريق قوّي ومدرّب رائع مع طريقة لعب جذّابة صعّبت المهمّة أمام المنافسين.

وعلى الجهة المقابلة، تضمّ تشكيلة تشيلسي مجموعة مميزة من اللاعبين، لكن النتائج لم تكن على قدر التطلّعات خاصة في فترة الميلاد. وبالنّظر إلى نتائج الفريق أخيراً، يبدو أن تشيلسي عاد لتباغو الطريق الصحيح ما يزيد من حظوظه في مباراة اليوم.

تجاوز تشيلسي جاره اللندني توتنهام في نصف نهائي كأس الرابطة، لكن الحفاظ على الآمال في المنافسة على لقب الدوري هو الهدف الرئيسي بالنسبة لفريق المدرّب توماس توخيل. تجدر الإشارة إلى «البلوز» قد يُنهون عطلة نهاية الأسبوع في المركز الثالث إذا فاز ليفربول على برينتفورد غداً.

على الورق، تبدو المباراة متكافئة إلى حدّ كبير مع وجود غيابات بالنسبة إلى الطرفين. فسبق وأن أدّى انتشار كورونا بين صفوف مان سيتي إلى دخول بعض لاعبي الفريق الأوّل في الحجر، قبل الفوز اللّافت في كأس الاتحاد أمام فريق سويندون نهار الجمعة الماضي. غاب المدرّب الإسباني حينها مع سبعة من لاعبي الفريق الأول، وجاءت نتيجة اختبار 23 من أعضاء الفريق إيجابية. أما بالنسبة لمباراة اليوم، فقد عاد أغلب العناصر ومنهم غوارديولا، ويُعتقد أن فيل فودين والكسندر زينتشينكو هما من اللاعبين المتأثرين بالفيروس ما يصعّب من شاركتهما في حين يُشارف المدافع جون ستونز على العودة، ولا يزال رياض محرز في كأس أفريقيا للأمم مع الجزائر.

> تبدو المباراة متكافئة إلى حدّ كبير مع وجود غيابات بالنّسبة إلى الطرفين

أما بالنسبة لتشيلسي، فليس لدى توخيل مخاوف جديدة للتعامل مع مباراة القمّة سوى غياب المدافع أندريس كريستنسن بسبب كورونا، مع استمرار غياب بن تشيلويل وريس جيمس وتريفوه شالوبا للإصابة إضافةً لممثل كأس الأمم الأفريقية إدوارد ميندي. عاد تباغو سيلفا وأنغولو كانتي من عدوى كورونا وتواجدا على مقاعد البدلاء ضد توتنهام، ما يعطي الفريق دفعة معنوية كبيرة في الاختبار المصيري لحظوظ الدوري.

الكرة اللبنانية

طرابلس يُبقي البطل خلفه

فرض طرابلس نفسه ندّاً قوياً لحامل اللقب (طلال سلمان)

على وقع عودة المدرب الأردني عبدالله أبو زمع، وبانتظار عودة نجم خط الوسط نادر مطر المفترض أن يعلن اليوم على عقد لمدة سنتين، تعثر الأنصار مرةً جديدة بتعادله مع طرابلس (2-2)، في افتتاح المرحلة العاشرة من الدوري اللبناني لكرة القدم. ملعب رشيد كرامي البلدي في طرابلس، شكّل محطة صعبة للأنصاريين الذين كانوا يأملون بالبناء على عودتهم إلى سكة الانتصارات إثر تغلبهم على الصفاء الأسبوع الماضي. لكن طرابلس فرض عليه مباراة ندّية من خلال كمّ الفرص التي صنعها والهدفين الجميلين اللذين سجلهما، ليستحق بالتالي التعادل، وليرفع رصيده إلى 14 نقطة في المركز الرابع، مقابل 12 نقطة للأنصار خامس الترتيب. الأنصار كان البادئ بالتسجيل في الدقيقة العاشرة بعد عرضية من حسن شعيتو «شبريكو»، حولها الأنصاري السابق محمد قرحاني خطأً في مرماه.

لكن سعيد العلي عادل النتيجة لطرابلس في الدقيقة 21 إثر تسديدة قويّة في شباك الحارس الطرابلسي السابق نزيه أسعد. وتقدّم الأنصاريون مجدداً في الدقيقة 50 عبر لاعب سابق آخر في طرابلس هو خالد العلي الذي استثمر عرضية شبريكو ليحوّلها برأسه إلى الشباك، قبل أن يسجل عبدالله مغربي أجمل أهداف المباراة في الدقيقة 54 بتسديدة رائعة من خارج منطقة الجزاء.

خرج الأنصار بنقطة وأبو زمع بعدد كبير من الملاحظات، على رأسها المشكلة الواضحة في الوسط والهجوم حيث الاعتماد الوحيد على حسن معتوق للبناء في ظل غياب الفعالية في الخط الأمامي أيضاً، وهي المعضلة التي لم ينجح في حلّها حتى الآن رغم الاعتماد مراراً على تبديل مراكز اللاعبين قبل كل مباراة تقريباً لكن من دون نتيجة حاسمة ونهائية. وتستكمل المرحلة اليوم بثلاث مباريات أقواها بين العهد المتصدر وشباب الساحل وصيفه عند الساعة 4:45 بعد الظهر، بينما يلعب قبلها عند الساعة 2:15 ظهراً الصفاء مع التضامن صور، وشباب البرج مع سبورتينغ، على أن تختتم يوم غد بلقاءي البرج مع الحكمة (الساعة2:15 ظهراً)، والنجمة مع الإخاء الأهلي عاليه (الساعة 4:45 بعد الظهر.

(الأخبار)

حول العالم

المغرب يحجز بطاقة العبور إلى الدور الثاني

حجز المنتخب المغربي مقعده إلى الدور ثمن النهائي للنسخة 33 من كأس أمم إفريقيا في كرة القدم المقامة في الكاميرون، إثر تغلبه على جزر القمر (2-صفر) مساء أمس الجمعة على ملعب «أحمد أهيدجو» في العاصمة ياوندي ضمن الجولة الثانية من منافسات المجموعة الثالثة. وسجل هدفَي المغرب: سليم أملاح (16) والبديل زكريا بوخلال (89).

ورفع المنتخب المغربي الساعي إلى لقبه الثاني في تاريخه بعد 1976، رصيده الى 6 نقاط من فوزين، فيما مُني «القمري» بخسارته الثانية تواليا في أولى مشاركاته القارية.

وأجرى مدرب المغرب البوسني وحيد خليلودجيتش ثلاثة تبديلات مقارنة مع التشكيلة التي خاضت المباراة السابقة، فزجّ بلاعب فيورنتينا سفيان أمرابط في الوسط الدفاعي «ارتكاز» بدلاً من سامي مايي، وبجناح خنت البلجيكي طارق تيسودالي بدلاً من عز الدين أوناحي، ومهاجم هاتاي سبور التركي أيوب الكعبي كرأس حربة في مكان زكريا بوخلال.

وخاض مدرب جزر القمر أمير عبده اللقاء بتشكيلة دفاعية، إذ اعتمد على لاعبين ينشطون في أندية فرنسية من الدرجتين الثانية والثالثة، فضلاً عن القائد يوسف أمشانغاما لاعب وسط «غانغان» الفرنسي، والمهاجم الفردو بن نبوهان، نجم نادي النجم الأحمر الصربي.

ورأى مهاجم المغرب أيوب الكعبي بعد المباراة أنّ منتخب بلاده لم يحقق أي شيء بعد، وأضاف: «لا توجد منتخبات كبيرة أو صغيرة في إفريقيا، وأيّ منتخب يتأهل يصبح متساوياً مع باقي المنتخبات».

واعدات الأردن بطلات غرب آسيا ولبنان وصيفاً

حقّق المنتخب الأردني للّاعبات الواعدات لقب بطولة غرب آسيا الأولى لكرة القدم، بعد فوزه على المنتخب اللّبناني (1) بهدف دون ردّ، سجّلته اللّاعبة هلا مرار في الدقيقة 62 من عمر المباراة التي استضافها ملعب مجمّع فؤاد شهاب الرياضي في جونية. وفي مباراة تحديد المركزين الثالث والرابع خسر منتخب لبنان (ب) مباراته أمام المنتخب الفلسطيني بهدفَين دون ردّ.

وكان المنتخب اللّبناني (1) قد وصل إلى النهائي بالعلامة الكاملة، بعد فوزه على نظيره الفلسطيني بنتيجة (2 . 0)، وتجاوزه الأردن بنتيجة (1 . 0) ومنتخب لبنان (ب) بنتيجة (1 . 0) في المراحل الثلاث الأولى من المسابقة.

واستحقّت اللّاعبات الأردنيّات الفوز بالنهائي بعد سيطرتهم على المباراة في أغلب أوقاتها.

◄ إعلانات رسمية ►

اعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل جورتي المصاعد في المجموعة الأولى والثانية وأعمال تصليح قاعدة الباطون التابعة لمحرك مروحة الهواء الأساسية جهة جونيه في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث‌ك/3655 تاريخ 2021/7/9، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/2/18 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ل.ل.

علماً بان العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2022/1/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 15

اعلان

إن إدارة واستثمار مرفأ بيروت قد قررت تمديد مهلة تقديم العروض في المناقصة العامة العالمية لإدارة وتشغيل وصيانة محطة المستوعبات في مرفأ بيروت في الساعة الثانية عشر من ظهر يوم الاثنين الواقع فيه 2022/1/31.

تعلن جريدة الأخبار

عن حاجتها إلى متدربين في قسم الارشيف :

◄ إختصاص : إدارة معلومات

◄ المهارات: الإلمام بالتقنيات والبرامج الإلكترونية، حسن التنظيم والدقة والملاحظة، القدرة على توثيق البيانات (صور ونصوص ومقالات) واختيار Metadata

◄ دوام العمل: Flexible (10 صباحا – 3 بعد الظهر / 2 بعد الظهر – 7 بعد الظهر)

للمهتمين يمكنكم إرسال السيرة الذاتية إلى البريد الإلكتروني : HR@al-akhbar.com

اعلان

على جميع الراغبين الاشتراك بهذه المناقصة سحب دفتر الشروط الخاص والبيانات الدورية الصادرة بالمناقصة من مصلحة الديوان في المرفأ - الطابق الخامس ابتداءً من نهار الخميس الواقع في 2022/1/13 وذلك ضمن الدوام النظامي لقاء مبلغ وقدره /10,000/ $ (عشرة الاف دولار اميركي) نقداً، إضافة إلى الضريبة على القيمة المضافة(TVA). وان دفتر الشروط هذا قد ادرج، للإطلاع عليه، على الموقع الإلكتروني الخاص بالإدارة (www.portdebeyrouth.com)، وتم وضع بتصرف المشتركين في هذه المناقصة، غرفة للبيانات المعلوماتية «DATA ROOM»، حيث يمكنهم الحصول على المعلومات والايضاحات اللازمة.

يمكن لجميع الراغبين في الاشتراك بهذه المناقصة ولمزيد من المعلومات الاتصال بمصلحة الديوان لدى الإدارة على احد الرقمين التاليين:

00961-1-587075 و00961-1-580918

وعبر البريد الإلكتروني INFO_TERMINAL@portdebeyrouth.com

بيروت في 2022/1/12

الرئيس المدير العام بالتكليف

عمر عبد الكريم عيتاني

استراحة

كلمات متقاطعة 3933

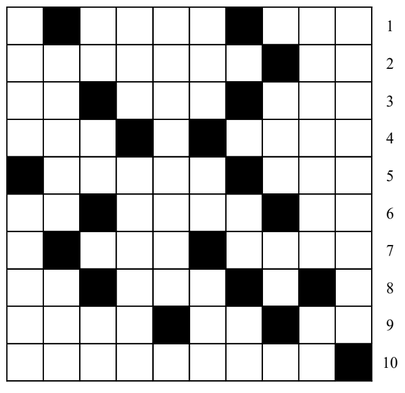

افقيا

1- من الحيوانات – شهر ميلادي – 2- في القميص – من أسماء الجبان – 3- غليظ الصوت – مدينة سويسرية – للتمني – 4- نزيف الأنف – مدينة فلسطينية – 5- من الطيور – نمط من الرحلات البرية – 6- منخفض بالأجنبية – كانون النار – دق وسحق – 7- إعتمد على نفسه – أحسب المال – 8- أعاد الكلام بشكل متتال – برق وتلألأ – 9- انت بالأجنبية – للتفسير – يعمرّ البيت – 10- ممثل مصري راحل

عمودياً

1- شاعر سوري راحل – 2- سلطات معينة – صوت الطفل إذا بكى – 3- عمل متعب – راحة اليد – 4- ضجر وسئم – مقياس مساحة – 5- اكبر سلسلة جبال في أوروبا – عمر – ماركة سيارات – 6- سيف الإمام علي بن أبي طالب – 7- خلاف أكثر – مدينة مصرية – 8- أصغر نهر في العالم – ربط وشدّ – إحسان – 9- من الحيوانات – من الألوان – 10- فلوس – رشم الصورة بدقة

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- عامية لحفد – 2- رخام – مقدام – 3- رخو – ناور – 4- جبرين – حمّس – 5- اميّ – واحة – 6- أزمير – دم – 7- يم – رن – شارط – 8- مات – غم – حبر – 9- لبن – الدنو – 10- بيروت – صباح

عمودياً

1- عرق – اليم – 2- اخ – جم – مالي – 3- ماربيا – تبر – 4- يمخر – زر – نو – 5- ويومنغ – 6- لم – ناي – ما – 7- حقن – حرش – لص – 8- فداحة – أحدب – 9- داوم – دزينا – 10- مرسى مطروح

sudoku 3933

	4		7		8	2	9	5
3			4					8
		2						3
4		3			7			2
				6				
9		6			5	7	8	1
			9		6	1		
		4		2			5	
1			5		4			6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3932

2	8	5	7	1	4	3	6	9
6	1	3	9	2	5	4	7	8
9	7	4	3	6	8	5	1	2
7	6	8	1	5	9	2	3	4
1	4	9	2	8	3	6	5	7
5	3	2	4	7	6	8	9	1
4	5	1	6	9	2	7	8	3
3	9	6	8	4	7	1	2	5
8	2	7	5	3	1	9	4	6

مشاهير 3933

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف وروائي فرنسي (1901-1976) صاحب رؤية موسوعية. يمتلك معارف دقيقة في الآثار وتاريخ الفنون. عيّن وزيراً للثقافة الفرنسية

8+9+2+1+4+3 = القليل الوجود ■ 5+10+11+7 = يريد ويبغي ■ 1+6 = للتاوه

حل الشبكة الماضية: محمد ابراهيم

إعداد نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 15 كانون الثاني 2022 العدد 4536

صورة وخبر

الاكتحال عادة عربية قديمة، ما زالت منتشرة إلى غاية اليوم، خصوصاً في المناسبات الرسمية، كما هي حال هذا الرجل الصيداوي (جنوبيّ لبنان)، فيما لا يزال الكحل حاضراً بقوّة في أعراف القبائل العربية في الإمارات والسعودية وغيرهما من الدول، تماماً كعادات أخرى خاصة كالتطيّب بالعود والعنبر. علماً بأنّ هذه العادة لا تقتصر على هذه المنطقة، وباتت اليوم رائجةً على امتداد العالم. (علي حشيشو)

قناديل ملك الجليل تضيء العالم الافتراضيّ

في 29 كانون الثاني (يناير) الحالي، يدعو «المتحف الفلسطيني» إلى قراءة مسرحية رقمية بعنوان «قناديل ملك الجليل» (كتابة عامر حليحل الذي يتشارك التمثيل مع عامر خليل، فداء زيدان، محمد باشا، منى حوّا، أديب صفدي وعلاء أبو غربيّة)، عن رواية للشاعر والروائي الفلسطيني إبراهيم نصرالله (1954 ـ الصورة). يأخذ العرض شكل قراءة مسرحية للتوغّل في عالم ظاهر العُمر الزيداني في أصعب معاركه... يوم حاصره وزير الشام في طبريا ليقضي عليه وعلى مشروعه، وكيف قدّر له ومن معه الانتصار بالصمود أمام أكبر إمبراطورية في العالم آنذاك.

«قناديل ملك الجليل»: السبت 29 كانون الثاني ـ الساعة السادسة مساءً ـ حسابات «المتحف الفلسطيني» على السوشال ميديا.

«معاً نُصلّي» لراحلي الكونسرفتوار

يدعو «المعهد الوطني العالي للموسيقى» وجوقة «جامعة سيّدة اللويزة» (NDU)، اليوم السبت إلى حضور ريسيتال بعنوان «معاً نُصلّي» في كنيسة دير سيّدة اللويزة في زوق مصبح. الحدث مخصّص لـ «إخوتنا الذين انتقلوا من بيننا»، على رأسهم مدير الكونسرفتوار بسّام سابا (1959ـ 2020/ الصورة) الذي توفي من جرّاء مضاعفات إصابته بفيروس كورونا. بالإضافة إلى الأساتذة: كريستيان عسّاف التي رحلت في بداية شهر كانون الأوّل (ديسمبر) الماضي ومنير مخّول وجوزيف ديبان ونجاة نهرا وأنترانيك كيريدجيان.

«معاً نصلّي»: اليوم السبت ـ الساعة الرابعة بعد الظهر ـ كنيسة دير سيّدة اللويزة (زوق مصبح ـ قضاء كسروان). للاستعلام: www.conservatory.gov.lb أو 01/489531

«علّي صوتك» بالهيب هوب

تستعدّ الصالات اللّبنانية لاستقبال أحدث أفلام نبيل عيّوش «علّي صوتك» الذي حقّق من خلاله المخرج المغربي حلماً من طفولته باختياره للمرّة الأولى ضمن المسابقة الرسمية لـ «مهرجان كان السينمائي الدولي». بعد عرضه الأوّل بعد غدٍ الإثنين، سيكون الجمهور اللّبنانيّ على موعد مع الشريط الذي يمتدّ على 101 دقيقة، ويتناول قصّة مجموعة من المراهقين المهووسين بثقافة الـ «هيب هوب»، لديهم أشياء كثيرة يودّون قولها «من دون أن يمتلكوا أدوات التعبير»، كما أوضح عيوش في تصريحات إعلامية سابقة. تدور أحداث الفيلم في حي سيدي مومن الهامشي في الدار البيضاء، الذي اشتهر في عام 2003 عندما خرج منه معظم الانتحاريّين الذين نفّذوا هجمات دامية في العاصمة الاقتصادية خلّفت وقتها 33 قتيلاً. وسبق للسينمائي البالغ 52 عاماً أن صوّر فيه مشاهد من فيلمه «علي زاوا» (1999)، قبل أن يعود في 2012 ليصوّر فيه مشاهد من «يا خيل الله». وكان عيّوش قد أسّس في 2014 في سيدي مومن الهامشي المركز الثقافي «النجوم» الذي يقدّم ورشات لتعلّم الموسيقى والرقص للشباب، في حيّ عانى طويلاً من التهميش وغياب المرافق الثقافية. وقد استقطب من بين روّاده جلّ ممثّلي «علّي صوتك».

من الشريط

أحمد غدّار: لوين واصل؟

يفتتح الفنان اللبناني المتعدّد التخصّصات أحمد غدّار (1994) معرضه Lawen Wasel? في «آرت لاب» (الجميزة) في 20 كانون الثاني (يناير) الحالي، على أن يستمرّ لغاية 10 شباط (فبراير) المقبل. «لوين واصل؟». سؤال طرحه سائق الفان على أحمد الذي وجد في هذه المركبة «مساحة آسرة بصرياً». لذلك، «بدأت برسمها على أمل العثور على بعض الإجابات»، يقول. ويضيف: «في البداية رسمت الفان بأكمله ولكن انتهى بي الأمر بالتركيز على مرآة الرؤية الخلفية... أدركت لاحقاً أنّ اهتمامي كان فقط لتذكيري ببعض الذكريات المنسيّة التي كانت لديّ مع والدي...». فما بدأ كرحلة ذات اهتمام غير عادي انتهى بالبحث عن الذات!

افتتاح Lawen Wasel?: الخميس 20 كانون الثاني ـ س: 17:00 ـ «آرت لاب» (الجميزة ـ بيروت). للاستعلام: 03/244577

الأخبار
al-akhbar

السبت 15 كانون الثاني 2022
العدد 4536 السنة السادسة عشرة
Samedi 15 Janvier 2022 nº 4536 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

حسين البرغوثي... باقٍ مع شجر اللوز

(أرشيف المتحف الفلسطيني)

ذكرى

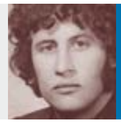

حسين البرغوثي... باقٍ مع شجر اللوز

كتابة تتأرجح بين المنطق والجنون المترحّل صوب المطلق

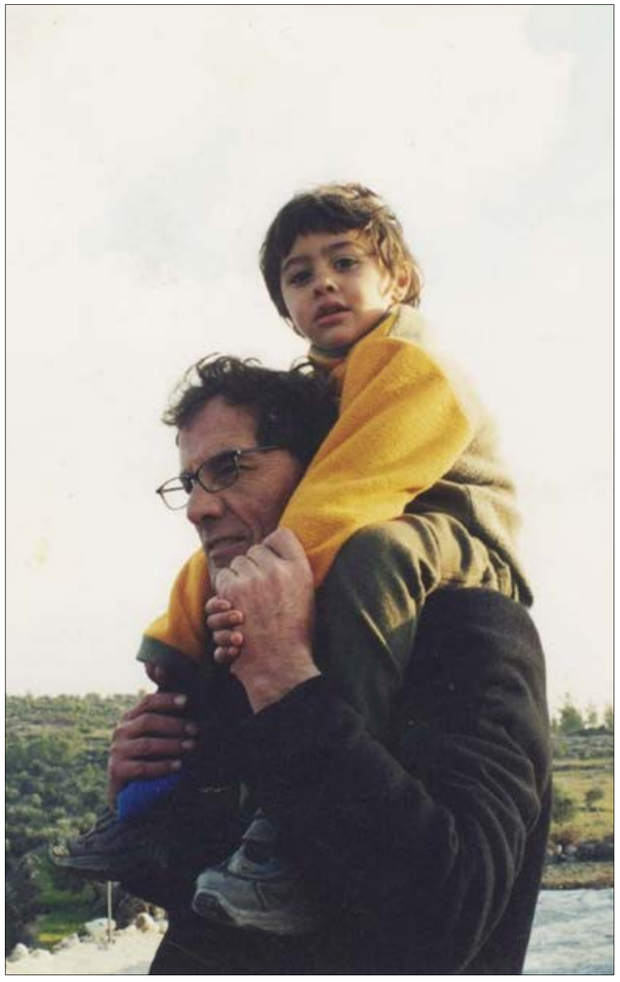

نوال العلي

كان ذلك في شباط (فبراير) 2004، ترافقت الصحف الورقية مع عدد جديد من «كتاب في جريدة». تجربة بدأت عام 1995 واستمرّت قرابة عقد، وحملت «الضوء الأزرق» للقراء في 14 بلداً عربياً تغطيها، ولم يكن حسين البرغوثي (1954-2002) الذي مرّت على رحيله عشرون عاماً، مقروءاً بشكل كبير خارج فلسطين، وربما ليس بعيداً عن الواقع القول إنّه ما زال كذلك.

لطالما قُدّم هذا الكتاب (صدر للمرة الأولى في عام 2001)، كما لو أنه أفضل عمل ظهرت فيه شخصية البرغوثي كاتباً، ربما لأنه أقلّها تعقيداً وأكثرها سلاسة، أو ربما لأنه سيرة ذاتية كانت ببساطة أجمل كتبه، أو كما رأى محمود درويش في مقدمة ترجمة الكتاب إلى الفرنسية أن «شاعرية حسين الحقيقية تحقّقت في «الضوء الأزرق» كما لم تتحقق في محاولاته الشعرية». لذلك حين يسأل أي قارئ عن أعمال البرغوثي، يُنصح غالباً بالبدء بهذا العمل.

لكن تجميع صاحب «توجد ألفاظ أوحش من هذه» (1998) في صورة محددة له كمؤلف قد يكون صعباً، فأعماله لا تتيح مثل هذا التحديد، بالنظر إلى تعدد الهويات والأصوات والأساليب والموضوعات في إصداراته، فضلاً عن الكتابة نفسها التي تتفاوت أو تختلف من عمل إلى آخر، وكذلك من نوع أدبي إلى سواه. إنما لنقل مجازاً إنّ كتابات البرغوثي، مثل شخصيته كما يتذكّرها ويصفها من عرفوه، لها «كاريزما» تشدّك إليها، لجهة خصوصية موضوعاتها وخياراته في التجريب واللغة والغرابة والثراء المعرفي والبعد الصوفي الذي يلعب دوراً جلياً فيها، إلى جانب لعبه الحر متجاوزاً الزمان والسياق الثقافي الذي عاش فيه.

عندما انتقل البرغوثي، ابن قرية كوبر، لمتابعة دراسات العلوم السياسية في هنغاريا، عاد منها ليصفها بالبلد «المتاهة» والمصاب بـ «الفصام بين الشرق والغرب واللغات الأجنبية»، يقول: «فيه صرت أجنبياً بالنسبة إلى نفسي». هذه النظرة إلى المكان، أيّ مكان، أقدم عند الكاتب من رحلته إلى هنغاريا، ويبدو أنها جزء من طريقة تفكير البرغوثي أصلاً في الجغرافيا بوصفها متاهة يضيع إدراكه بها وفيها باستمرار. نجده يصف سياتل، المكان الأساسي في «الضوء الأزرق»، بأنها «مصيدة». وفي بيروت يروي كيف ضاع صغيراً وفقد قدرته على تذكّر عنوان سكنه وغاب عنه تماماً اسم الشارع الذي يقف فيه. الخريطة الأوضح في نظره موجودة عند «المشبوهين بالجنون... والصعاليك». ثمة لحظات كثيرة ومتقطعة من فقدان الصلة والوعي بالمساحة التي يتحرك خلالها. وفي إحدى محاولات صاحب «حجر الورد» (2002) تفسير ذلك، يذكر كيف يُعتقد بأن الفلسطينيين، تاريخياً، من شعوب البحر التي كانت تطوف المتوسط وتاه أبناؤها.

هذا العاقل كما يبدو من الخارج يقف على حافة الجنون من داخله، لذلك حين يهرب البرغوثي، مجازاً، من سياتل حيث كان يدرس الأدب المقارن، إلى سياتل الهيبيز والمشرّدين والمجاذيب وأشباههم بكل جاذبيتها، فإنه يفرّ أيضاً من الأكاديميا الأميركية باعتبارها مجتمعاً تقليدياً راسخاً ومحكوماً بنفر بطبيعته منه حتى وإن انتمى إليه، ويندمج أكثر في العالم الهامشي الطلق الذي يبنيه أبناء المجتمع المضاد للأكاديميا من العابرين للنظام والجدر والأديان والعقل.

تتجاذب كتابة البرغوثي قوتان: الأولى جاذبة لعالم أخفّ لا تحكمه القواعد والمنطق، والأخرى طاردة ومركزية وتتدفق من الواقع. نلمس ذلك في الجزء الثاني من سيرته «سأكون بين اللوز» (2002). فيها يكرر سؤال نفسه «هذا شو؟» (سؤال تعلّمه من ابنه آثر)، عمّا يحيط به من الأشياء المألوفة متحسّساً محيطه من جديد كما لو أنها المرة الأولى. يتقمّص حسين شخصية طفله ويعرّض نفسه لمخيلة صغيره لمن يستطيع التعرف إليه والقبض على شيء منه. الأدب السابق بأرشيفه وسلطته وحواشيه هو أحد أكثر مصادر كتابة البرغوثي وضوحاً وغنى. و«قصص عن زمن وثني» مثال على ذلك، إذ يتخيل نفسه يعيش في زمن الجاهلية، في قافلة تجوب الصحراء ليلاً، مستعيداً الزمن المليء بالغوامض

> كتاباته مثل شخصيته، ذات «كاريزما» لجهة خصوصية موضوعاتها وخياراته في التجريب واللغة والغرابة والبعد الصوفي

والمحرمات والشعر وامرئ القيس وأخبار الجن. وهناك دائماً دليل يأخذه من يده ليخرج من الزمن الشعبية والأساطير والشعر القديم المحكيّ والفصيح والتاريخ العربي القديم والكتب المقدّسة. ثمة اشتقاقات وتنويعات واستعادات من خلالها يجعل الماضي حاضراً باستمرار، فالماضي المتاح مُلهم في سؤاله عن طيب الدم وفاحة. الآن وقت تحاليل إنسان عادي، لا هو جريح ولا مصاب! وفي اللحظة التالية التي يصله الخبر السعيد، إنه ليس مصاباً بالإيدز يكتشف أن لديه ليمفوما (سرطان الغدة الدرقية). يضع نفسه ثانية في موقف الحيرة، بين العافية والمرض، بينما يقرأ على جدار مختبر تحاليل الدم لوحة كُتب عليها «السرطان يشفي من التدخين». السرطان وردة، نعمة. «فش إيدز؟» فرحاً في ممر المستشفى المضاء بقوة، يقول لنفسه: «حسين شوف»، قبل أن ينهار لاحقاً في الطريق على جذع شجرة صنوبر وينتحب، هذه المرة يبكي البرغوثي على جسده المصاب.

في غالبية أعمال مؤلف «ريشة الذهب»، هناك استدعاء للقصص الواقع. قد يكون هذا الدليل متصوّفاً من قونيه في «الضوء الأزرق» أو كاهناً في «قصص عن زمن وثني» أو آثر في «ساكون بين اللوز».

كان البرغوثي نفسه دليلاً في أماكن كثيرة في الثقافة الفلسطينية، رغم أنه كان مهمّشاً ككاتب وشاعر إلى حد ما، فنحن مثلاً لن نقرأ له في أي أنطولوجيا للأدب الفلسطيني إلا بعد سنوات قليلة من وفاته. غير أن حضوره في الوسط الأكاديمي في رام الله كان فارقاً كما نقرأ من كتابات من عاصروه ومنها «مدوّنة حسين البرغوثي في قوانين الشعر العربي» لمراد السوداني. يظهر البرغوثي كعارف وله مريدون في حرم جامعة بير زيت التي كان يدرّس فيها أو في بيته حيث يتحلق حوله طلبته في مجموعات ترتاد منزله خارج سياق الدراسة للقراءة والنقاش، بالحرية ذاتها التي فتح فيها محاضراته الرسمية على الجدل.

الكتابات عن البرغوثي اليوم وفيرة، لكنها في مجملها شهادات يحكمها الشخصي والذوق الأدبي والمعرفة المباشرة. غير أن أطروحة الباحثة حنين العمري التي قدّمتها عام 2019 بعنوان «الكشف عن الأدب: حالة حسين البرغوثي» في «جامعة لايدن» الهولندية، تقدم قراءة شاملة لما تطلق عليه «ارتحالاته الأدبية» التي ترى بأنها تتجلّى في تخليه عن مجموعة من الاعتبارات الأدبية المعروفة والتطلعات السياسية. وتوضح كيف أن انخراط البرغوثي مع المجتمع والحياة الفلسطينية قد تأسّس على التشكيك في معاني التمثيل وعلى إيجاد أنماط من التجاوزات الأدبية، وبدلاً من ذلك تقديم منظور جديد لمفاهيم النضال السياسي والأرض والكتابة. درست العمري أيضاً عمل البرغوثي من الداخل وعلاقته بالمشهد الأدبي، وكيفية تفاعل الفرد (البرغوثي) مع المجتمع (الأدب الفلسطيني) والتأثير فيه والتأثّر به.

مع ذلك، رغم كل ما يبدو عليه هذا الكاتب من تعدد وميل إلى التعقيد، إلا أن ثمة نسخة أبسط منه، تلك التي نتعرف إليها بصوت كاميليا جبران أيام «فرقة صابرين»، في أغنية «رسالة مبعد» مثلاً، حيث الشوق يبدأ، على طريقة السيّاب، من العينين: «عيناك غابة زنبق/ تحت الغروب، أمامك أهذي وأعرق/ وأقول الوداع نلتقي ذات يوم». وهناك أغنيات يظهر فيها حسّه الشعبي الحزين القريب من القلب: «أبو حبلة شعره فلفل وحب زبيب/ أبو حبلة عيونه خضرا وفيها حده/ شفته غافي عالرمل حدو عحدي/ في شواطئ تل أبيب/ يمكن بكي، وتذكر أهله يمكن مشى، وتذكر أصله...». أو في أغنية «رام الله 1989» الأقرب إلى يومية قصيرة من اللامبالاة «مرات بمشي لحالي بنص الليل، والليل مثل النهر/ وايدي في جيبي يا بصفر يا بدخن، هيك من كثر القهر/ كل المدينة مسكرة فشي حدا غير الفضا والجيش/ غير الهوا بلعب مع ضواو الشوارع ولّا في خصل الشعر/ بوقف عحد السور بذفني عايدي بوقف وفكر كيف كل اللي ظل من العمر خلقة شهر».

على شاهدة قبر البرغوثي الرخامية، حيث دُفن في كوبر، أسطر من قصيدة ومكتوب أيضاً: «إن زرتني ساكون بين اللوز»...

يوم عثر على «حجر الورد»

تغريد عبد العال

في «حجر الورد» (2002)، هذا النص الذي قُرئ لحسين البرغوثي وهو على فراش موته، هناك تاريخ مفتوح على الأزمنة والأمكنة. يبدؤها بالجملة التي لا تُنسى: «أتى كنبيّ من عالم آخر ومن حلم مختلف». يخلق حسين في نصه لحظات استثنائية، فيكون الشعر لحظات خاصة ندرك أنها من عالم آخر لا تنتمي إلى هذا العالم لكنها لوهلة ما تتجول داخله وتسمي أمكنته وحضاراته. مهمة اللغة عند حسين، أن تأخذنا بعيداً، فنصعد معها من طابق إلى طابق ومن جملة إلى جملة، ونحن ندرك أن ثمة عودة لكنها ستغير الكثير، لأن الواقع غير موجود. إنه حلم كبير وغريب، أو ربما كما قال حسين عن نصه: «أريد جملاً تشعّ بالإيحاءات وكنت أسأل نفسي كيف أربطها، أنت كقارئ تربطها بالإيقاع، وهذه مشكلتك أنت، فالجمل قابلة للربط، لا يوجد منطق بمعنى سبب ونتيجة لكي يربط هذه الجملة بتلك، أو بين فقرة وأخرى، أو أين نهاية وبداية عبارة وأخرى أو صوت وآخر».

تتقاطع شخصية النبي أو المعلم الذي يتحدث عنه مع شخصية السارد في هذا النص، إلى درجة يتيه فيها القارئ الذي يكتشف في ما بعد أن تلك هي جمالية هذا النص الذي يضعنا في حالة ذلك الاستثناء أو ذلك الجنون، فيقول لنا حسين: «لم يعد يذكره أحد من جيلنا، لا يبكي عادي على استثناء، أخرجناه إلى الهامش». ربما يتساءل القارئ هنا عما نفعله في الواقع بالشخص الذي يخرج من قواعد الجماعة ومن تعاليم محدّدة ومرسومة. هناك وجود لفلسفة ما تتحدث عن «كيف ننظر إلى أنفسنا» في «حجر الورد»، لكن حسين لا يكتبها بلغة عادية، فهناك إيحاء كما قال، هو يدربنا على ذائقة أخرى تتذوق المختلف لتشعر بالشخص المختلف أو «النبي» كما سماه. «كان واضحاً ووضوحه يخيفنا»، يقول حسين. هذا الوضوح هو وضوح الاستثناء الذي يريد حسين أن يجعلنا نتلمّسه في هذا النص لنعثر معه في هذه الرحلة اللغوية المتشعّبة على حجر الورد.

يحضر فيلم «ذهب مع الريح» في شخصية سكارليت زوجة السارد وتحضر عبارة النفري «كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة»، واقتباسات قرآنية وشعرية من الشعر القديم. تتّسع رؤيا حسين هنا لتشمل ثقافة واسعة من هذا العالم حتى لا تضيق العبارة فقط بل تفيض كما قال «محيطات أخرى ظلت فيه خارج العبارة». لا مكان متجانساً في لغة حسين. هناك أمكنة مختلفة وأزمنة مختلفة تتجمّع مثل فسيفساء جميلة تهدم منطق التراتب والتدريج لتعطي فكرة واسعة عن عالم يبنيه شخصٌ استثنائي يحلم بذلك قبل أن يكتب. العالم هنا حلمٌ كبير رغم أننا نعرف هذه الشخصيات أو ربما سمعنا بها. لكن حسين يجعل خبرتنا بها تتجدّد في نصه، لنعلم أننا داخل لغته الجديدة. وكما في «الفراغ الذي رأى التفاصيل»، يذهب حسين مرة أخرى ليرى «اللامرئي» في المكان. لكنه هنا يجعل هذه التفاصيل تتحدث على لسان هذا المعلم، فهذه الثقافة التي تتجمّع داخله هي معالم ثابتة في هذا المكان المتحرك والمتنقل وهي تتحدث فيه عن كل شيء بوضوح حالم، كأنها أسّست لعالم فكري يؤثّث اللغة والسؤال عن كل شيء. لقد أدرك حسين باكراً أن هناك ذائقة جديدة تتشكل في فلسطين وتبتعد عن الفن السياسي والجمعي، وأدرك أن قوّة السؤال واختلاف العالم الذي نعيش فيه اليوم قد ساهما في هدم القديم وبناء جديد آخر يستنطق قديماً آخر، لذلك يبدو في «حجر الورد» محاوراً لتلك الثقافة لكن بإيحاء جميل يبتعد عن الحكم والوعظ.

يمتزج العادي في هذه اللغة بالحالم «الاستثناء»، فتبدو الأشياء غريبة، كما يقول في لحظة نكتشف أنها يومية وعادية ثم تخرج من عاديتها فجأة: «وأخيراً رأيناه يتسكّع على الشاطئ، ويدخن غليونه التركي، ويصفر أسماء نساء عرفهن في وطنه الأصلي، وكلما لفظ اسماً حلّق الاسم فصار فراشة ذهبية تطير تحت قمر قديم، أو طائرة من ورق ملوّن، تصير طيوراً من الذّهب الأخضر، جداً تلمع بحدّة في الوعي». إنها لحظات متناقضة تشير إلى الخروج مما نعرفه، ومن اللحظة التي تبدو فيها الأشياء أليفة كأنها محاولة للعبور إلى كنف ذلك اللامفهوم والمجهول.

«حجر الورد» هو من أكثر القطع أثرية في العالم. حجر كبير من الغرانيت عليه نقوش باللغتين المصرية واليونانية، وقد كان حاسماً في فكّ الرموز الهيروغليفية المصرية من قبل الباحثين. لقد وضعنا حسين أمام نهاية نعلم أننا عثرنا عليه معه، فربما هو ذلك الحجر السري الذي يفكّك لغته وعالمه الواضح والغامض في الوقت نفسه، قائلاً لنا في فقرة أخيرة يسأل فيها هذا النبي ماذا تقرأه فيقول له: كتابي نفسي. وعندما أتى يتسكّع على الشاطئ، ويدخّن غليونه التركي، يسراه في جيبه وينظر إلى البحر، فنزلت إليه، خطوة خطوة، بحذر وسألته بسخرية: ماذا تقرأ؟ قال: «كتابي نفسي، فغرثت على حجر الورد».

لا تخبرنا لغة حسين بشيء ما أو تُلقي بين أيدينا ذلك الحجر الغامض بل تدخلنا في التجربة التي نكتشف داخلها تلك الأحجار ونبني عالمنا الخاص عندما نخرج من النص المفتوح على التأويل والقراءة والسؤال. إنها لغة للتجوّل والاكتشاف لا لإيصال المعنى، بل الغوص داخله لاستخراج معانٍ أخرى. لذلك، نتساءل في هذا النص عن أشياء كثيرة من هو المعلم؟ من هو السارد؟ هل تغير السرد أثناء الرحلة؟ هل عثر أحدهما على الآخر؟ النص يضعنا أمام تلك الأسئلة وكلّما أجبنا عليها، كان جوابنا لنا، فندرك أننا هنا حاضرون ونتعلم من هذه التجربة التي لا تتوقف على العثور على حجر الورد.

ذكرى

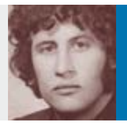

حسين البرغوثي... باقٍ مع شجر اللوز

«الضوء الأزرق»: داخل العقل... خارج سياته

بوك مخلوف

رهانٌ كبير، وهو على أغلب الظن رابح، يمكن وضعه على الدوخة التي سيصاب بها القارئ بينما تتسابق عيناه مع صفحات كتاب «الضوء الأزرق» لحسين البرغوثي. تدوخ وإذا بك تتلمس الأشياء من حولك لتتأكد من حقيقتها وتعود الى رشدك، لكنها المتاهة التي أنت بصددها: فالأشياء التي يسردها البرغوثي حقيقية.

الشعور بالدوخة كأنك على سبيل المثال، تقف جامداً وسط دوامة تدور، وتدور، وتدور بينما أنت تحدّق لإرادياً في حركتها. وعندما تمعن النظر فيها أكثر، تتّضح لك التفاصيل، فتشرع في تركيبها بنسيج متناغم قبل أن يصيبك الإغماء. الدوخة لا الزيغ، ولو تعرضت العين للانهماك، بسبب ملاحقتها نثر البرغوثي السريع وللتهيب، السائل المكثف، الدقيق والمتشظي.

النظر المنهك من «الضوء الأزرق» مُضاد للعمى، بل إنه المفتاح لباب الرؤية. الدوخة أو الشعور بالدوار، لأذع وسريع، وهو فريد وله دمغته الخاصة: لا يمت بصلّة للرعب القادم من الحرية كالذي أطاح بكيركيغارد، وعصري أكثر من ذاك الذي وصفه المتنبي «على قلق كأن الريح تحتي». دوخة كصفعة فجائية لا تتوقعها. مفاجئة لا ينتهي أثيرها. دوخة أو بالأحرى دهشة عارمة أو بالأحرى طفح ذهني جرّاء منسوب مرتفع من الأدرينالين الذي يوفره سيلان السرد.

الكتابة عند حسين البرغوثي حفر وتنقيب، ولوج إلى الداخل بشجاعة مجنون، وتحملق، بعينيّ طفل لا يعرف بانسيابية على نفس واحد وأحد غير منقطع وما يتجلى عنه من ظواهر. الكتابة عنده كالرقص، شغف تمتد رعشته إلى كل مفاصل الجسد. والكتابة عنده أيضاً كالبكاء، نثر مصاب بالقلق، مونولوغ طويل يلقيه أحدهم بحنق أو بحالة رجفة. يكتب البرغوثي بالصوت، وأصواته متعددة، لا تسمعه بالأذن لكنك تسمعه في الراس. على هذا النحو، تجز كل نبرة معها موضوعاً وشكلاً وحكاية و... ذات. فكتابته هي كاتبها، وتعددها هي تعدده. أما لغته فحادة كقبضة يد ملأكم تمسك برقبة المعنى وتعصره. دماؤها نهر فائض من التجربة، تستعين بالرمز أو الأسطورة أو سلاسة القول، وأحياناً هي مزيج من هذا الجمع المركب في مقطع واحد كأنها خلطة كيميائية. فالرؤية عنده هي الغاية والوسيلة معاً، وعليه، فكل الأدوات متاحة لمنع الأبصار من الحجب.

هي لغة مفرطة في الصدق أكثر مما يحمله الأدب، أو أكثر مما يتحمّله الأديب. ذلك أن البرغوثي، في «الضوء الأزرق»، خرج من المكتبة، ومن حرم الجامعة ولحق بالأدب، عارياً، في الدهاليز المعتمة ونزلا لا تنام وشلّة أصدقاء غينسبورغ «عواء».

ليس الأدب بالنسبة إلى البرغوثي شكلاً هندسياً مجرداً أو موضوعاً مستقلاً بذاته، إنما هو حاملٌ للمواضيع. لم ينظر إلى الأدب، بل عاشه حالة من الأدب فيه. خطا في «الضوء الأزرق» على طريق محمد شكري بما فعله، إبداعياً، في «الخبز الحافي». وكما نقل وليام بوروز، بجُملته التي تحمل تنهيدة أنفاسه، حياته. حدث ذلك بعلاقته مع المطرودين والمرفوضين والمهمشين: في تذوقه للبيتزا المرمية في سلة القمامة، في نوبات وجودية نهش الارتياب فيها روحه، وفي مئة وتسع عشرة صفحة من السرد المتفجر. تجربة مُفرط بالتجريب. تقرأ ما يُسمى بالسيرة الذاتية، فتستخلص أنها نصّ واحد، مكتوب بانسيابية على نفس واحد وأحد غير منقطع بالرغم من التقطع الذي أصاب التسلسل الزمني الذي لم يتصع الكاتب لقواعده في البناء. التدفق الكتابي في تكريس «الحالة» كان كافياً لتكون الأماكن والأزمنة، في «الضوء الأزرق»، شكلية. بيد أن المكان والزمان الحقيقيين له هما الذكريات والحركة الدائمة، بقناعة مماثلة للإغريق القدامى الذين رأوا بالزمن سيرورةً لا تنتهي والذي بدوره رأى مثلهم، وبمساعدة من صديقه «بري»، أن الداخل أي النفس البشرية، وعاء مكتنز بالحكمة وأن الأثر التراجيدي مولّد للمعرفة.

والسيرورة قافلة تترك وراءها أحداثاً. من هنا كانت تجيء قصص البرغوثي في سياق تحضُر فيه الشخصيات، ليشكل حضورها ذريعةً أدبيةً، حجة مُقنِعة للكتابة. لعبت وظيفتها كسند داعم يعزّز تنقله السردي في الأحداث وبين المواضيع. كانت وجوهاً مثل نافذة يطل منها ليقدّف ما لديه ويفصح عن وجوهٍ أخرى. وما جرى، في أغلب الأحيان، أنه أطل من تلك الوجوه ليرى نفسه عارياً، فافصح عن وجهه العاري وكان نصه هو النافذة.

في «الضوء الأزرق»، وهو وثيقة أرشيفية للمُغاث عند البرغوثي، خرج الأخير عن نفسه ليصبّ فيها. لكن خروجه طوعي ومتعمّد، فتلقاه يكمن بين سطوره أمامه: رشيقاً، غير مستقر، لا يهدأ «أنا أفكر يا بري، أفكر، أفكر». أنت أمام قوّة ملتبسة مشحونة بالإشارات وغنية بالإحالة، هي السرابيس التي ينتقل فيها البرغوثي في نصّه ذهاباً وإياباً في لعبة تشبه المد والجزر. بالكتابة كتدوين وبالتأمل كاعتراف، تبدأ من قعر عالمه الداخلي محتكّاً مع العالم الخارجي شعراً وسرداً حيناً، كما تبدأ، أحياناً، من عالم الخارج بالوصف والنثر مولجاً نحو الداخل. في حال قررت التعرف على الهوية. الهوية الفردية، أناه الخاصة، ومغزى ترحاله الدائم بمسلّمة أساسية هي أن الرسائل لا يغلّب الأبيض على الأسود ولا يختار بين نقيضين. لكنه، في الوقت عينه، ليس محايداً «وحتى التورط في عدم التورط ليس حياداً، برزخ الحياد لغز». فعدم الانتقاء عند البرغوثي هو ضرورة للتأليف، الوقت المناسب للإبداع في «خلق شيء جديد لكل ليلة». هكذا تغدو الذات عنده مزيجاً مركباً، إقراراً إراديّاً حراً، «تصميماً معيناً» وبشكل تقني أكثر كعملية تشبه الكتابة: صناعة.

البرغوثي الذي تؤرقه الى حد الوسواس القهري تلك المسافة الفاصلة الحساسة والموحشة بين رجائه الخاص للتماسك والبقاء متعقلاً وخوفه حتى الهلع من أن يصبح مجنوناً، وأن تربح الثانية وتجهز على الأولى، يتضح، في ما بعد، أن كابوسه الحقيقي الذي لا يستطيع منه فكاكاً هو هذا الخيط الفاصل بين النقيضين. فلا مشكلة لديه مع الجنون «ومن اللطيف أن الجنون مفر، غريب كم كان يجذبني، كم كنت أرغب فيه، وأنوي عليه، ولكل أمرئ ما نوى». بيد أنه مغرم بالصحوة «كنت أرتجف إلى درجة أنني كنت أعي كل شريان دم في جسدي، وكل عصب، فيض من الطاقة الاستثنائية، كنت أرقص مثل دمية، غير قادر على الوقوف الطبيعي... فاستلقيت على صخرة تحت أول الأشعة وغفوت حالاً من شدة الإرهاق. كم شعرت بالأمان، كم شعرت، لما انتهى الليل». إلا أن ما يريده حقاً هو القبض على الوعي. إذاً، إن ما يبدو لنا التباساً هو، بالنسبة إلى البرغوثي، المألوف. فالأخير لا يتعاضد أو يتناقض بل يتقاطع ويتماهى. إيمانه الذي، ربما، يبقيه على قيد الحياة، هو التجاوز. بهذا الأسلوب، تأتي التوليفة، ولو أنها نتيجة شاقة لأعمال التجول في طريق وعرة، فالضوء لا يسطع من دون عتمة، وفي حالة البرغوثي، الجنون هو أقصى درجات التعقل، فيما التعقل يحمل رغبة عارمة للجنون.

يسير البرغوثي بيقين أن القاعدة الأساسية والتي تعلّمها من بري «أفهم ومَيّز» فيعلو الدرج خطوة خطوة وصولاً إلى أن تعي الذات على ذاتها. إنها تجاوزية قادمة من المحايثة، وليست من التعالي الميتافيزيقي، ولو بدت نصائح بري وأحاديثه أشبه بطلاسم وشيفرات، لكنها دروس مكثّفة من فيلسوف مجنون اختار التشرد. ولمن لا يعلم، بري هو حامل المصباح الذي يسطع منه الضوء الأزرق، هو «الآخر»، الحالة الشرعية للبرغوثي مجنوناً. أفكاره كإشراقات رامبو وفلسفته اشتقاق من ظاهراتية هوسرل القائل «اعطني فنجان قهوة فاصنع لك فلسفة». بري الذي رأى أن الذهن «فنجان ذهبي ومن طبيعة ذهنك أن يكون فارغاً ومن طبيعة الفراغ أن يكون قابلاً لأن تصب فيه أي رأي أو نظرية» متوجهاً للبرغوثي الذي يختبر «حُضور الأشياء»، إذ هو يناشده «بالقصدية»: بانطلاقة كسهم ملتهب يسير إلى الأمام، نحو الأشياء وإليها. هي دعوة الى التوغل في باطن الأشياء نفسها لاستنباط المعنى من دون أن يخلط بين الإدراك والمعرفة، أو بكلمات بري «التمييز بين الذهن ومحتواه» أو «الذهن هو ممكناته وليس ما فيه». ما نراه، بفعل المنطق تناقضاً، يراه البرغوثي أسلوباً، وما نعتبره انشطاراً يعتبره تعدداً وإثراءً. لذلك كان تفتيش البرغوثي عن نفسه وفي تصميمه لهويته، أي خلقها، مُجدياً. ولذلك أيضاً كانت كتابته الخام التي انطلقت من دون الالتزام بأشكال وموروثات مسبقة، كيميائية.

للبحر، ولونه الأزرق عشقٌ لدى البرغوثي منذ الصغر، هو الذي جزع منه عندما كان صغيراً. البحر هو اللامتناهي الذي لا حدود له، هو السيرورة الدائمة، وهو الذي يقفز فوق الأضداد فارضاً إيقاعه. يصلح البحر ليكون مثالاً حقيقياً عن حسين البرغوثي: الدموع كمياه مالحة، الموج كانفعال والحزن العميق الذي يكرّسه توهج ضوء القمر.

وللبحر أيضاً دلالة على الاغتراب. فبقدر ما تبدو حواس البرغوثي متوهجة، بقدر ما هي معطلة جراء توسّتالجيا مفعمة، وحساسية فائضة، وطمأنينة ضائعة. أما الاستيقاظ مع كل هذا الحمل، فثقيل. والثقل إذ هو، تداعيات الاغتراب، وهذا بدوره غرق البحر في كآبته. إنها الجزية التي يتكلفها العقل اليقظ، الذي يعي حضوره بنفس درجة تفتحه على حضور الأشياء، ولا يرضى بفهمها كما تقدم نفسها، بل يخضعها للتمحيص، ثم للتجربة بغية إدراكها. وهي الصرخة الخارجة من قلب عجز عن متابعة مشاهد القسوة. الاغتراب؛ روح البرغوثي التي ترى في السؤال (الدائم) منزلاً، فيما أبواب الإجابة مغلقة أو في حالة تأجيل. هو وحشة الحنين لرام الله أثناء وجوده في سياتل. هو توقه للخلاص في تصميم نفسه بنمط عيش مصاب بالدوخة، فيه ما فيه من البحث الدائم، والتفتيش، والتنقيب، بطريقة أصلية تصنعها الذات بقرار شخصي لا يفرضه عليها العالم. لكن مهما بدا السعي للتوفيق بينهما حثيثاً، إلا أن مصيرهما يغدو مُضاداً لا يلتحم، أو كما عبرَ ريلكه «هذا العالم نُشيّده فينهار ثمّ نُشيّده ثانيةً فننهار نحن».

ضوء البرغوثي هو ترسيمات لمآمل، إشعاع على حاضر بحالة اغتراب من ذات واعية على اغترابها. والأزرق هو نداء قادم من بعيد، من صوت يكتب لاستئصال قلقه المتأصل فيه، نسمع صدى استغاثته في كتابة حسين البرغوثي. وإذ بدا هذا الصوت قريباً، إلا أن صاحبه يبقى في مكانه، لا يفعل شيئاً سوى الكتابة، والكتابة والكتابة التي لا تنتهي إلا مع موت صاحبها.

> خطا على طريق محمد شكري في «الخبز الحافي»

الشريد المتسكّع في المكان والزمان

باسيليوس حنا بواردي *

الكتابة عن الشاعر والقاص والناقد الفلسطيني حسين البرغوثي هي الكتابة عن مشروع ثقافي فلسطيني واسع وشامل، سعى البرغوثي من خلاله إلى تغيير الخريطة الأدبية العربية الفلسطينية، محاولاً استكشاف التفاعلات المركبة للوجود من أجل الوصول إلى ماهية حياة مستمرة ومتحركة، تسير في منحى مستقبلي لا يعرف الهدوء ولا المعايير الثابتة.

هذا المشروع بحركيّته الدائبة يصطدم والثابت المنبعث من إرهاصات ماضوية تحاول الإبقاء على وضعية المسلمات القبْلية الثقافية والوجودية. لذا فهو ينحو، أولاً، منحى الغوص في أعماق إنسانية لاستجلاء حركيّتها، وثانياً، منحى الفردانية والشخصانية التي تميّز الفرد عن الجماعة، وتعيد تعريفات انتمائه إليها. من هنا، تقوم هذه العجالة على استقصاء فاعلية هذا المشروع الجريء والمصطدم والمتمرّد بخطوطه العامة، من دون الغوص في تفاصيله. فقد أسّس البرغوثي مشروعه ضمن تخبّطات أدبية وثقافية واسعة، في إطار البحث عن الهوية الفردية والقومية، أو السياسية، أو الاجتماعية.

مارس البرغوثي العديد من الأنواع الأدبية في سيرورة كتابته القصيرة والمكثفة والغنية في آن. كان همه الشعري مثلاً ينحصر في بداياته باستقاء المعرفة التراثية الشعرية والثقافية العربية، فظم الشعر التقليدي بتصرف وفق النظام الإيقاعي، غير آبهٍ بالشكل، إنما بالاستزادة من هذا التراث كطريق للعبور. هكذا جاءت مجموعته الأولى «رؤيا» عام 1988 بلغة مختلفة وإيقاعات متوارثة، حاول أن يتصرف بها كشاعر يقدّر المعرفة التراثية، وينابر، في الوقت نفسه، مقوّماتها ومركّباتها الأساس. إن الرؤيا الكاشفة عن خبايا الكون كمفهوم شعري طوّرته مجلة «شعر» اللبنانية في ستينيات القرن المنصرم، لا يمكن إلا أن تكون مختلفة عن التعامل مع قشور الوجود. من هنا لا يمكننا اعتبار «رؤيا» مجموعة تقليدية ومالوفة، بل تحتوي على بذور التمايز ورؤية الباطن العميق؛ رؤية الحقيقة. وفي طريق قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر المتحررة ليس فقط من الإيقاعية التقليدية وإنما المتحررة من القيود الأيوبية الشعرية والتعابير المقولبة، ضمن منظومات ثقافية مفروضة مسبقاً. أضاف هذا التحول عند البرغوثي الكثير إلى شعره، من حيث الإيجاز وتكثيف تصوراته لما أسماه يوسف الخال «مشكلات الحياة الكبرى».

في مجموعته الشعرية الثانية «ليلى وتوبة. قصائد من المنفى إلى ليلى الأخيلية» التي أصدرها عام 1993، يتناول البرغوثي مسألة الصياغة اللغوية الشعرية من منطلق تحويل التعبير الشعري والثقافي الفلسطيني إلى تعبير يثير القلق ويبحث عن العمق. هذه المجموعة التجريبية الأولى عند البرغوثي، برأيي، تطرح مقولة التحدي الأدبي الجادّ الذي ينحو بالأدب العربي، والفلسطيني منه على وجه الخصوص، نحو مفهوم التأمل الوجودي الباطني الفلسفي الأبقى للتعامل مع المسألة والكينونة الفلسطينيتين. تقوم الصياغة اللغوية، التي تبلورت في هذه المجموعة، على التجريب اللغوي المفارق، بل والمتحدي للأنساق الكتابية الفلسطينية العربية، فظم الشعر التقليدي بتصرف وفق النظام الإيقاعي، غير آبهٍ بالشكل، إنما بالاستزادة من هذا التراث كطريق للعبور. هكذا جاءت مجموعته الأولى «رؤيا» عام 1988 بلغة مختلفة وإيقاعات متوارثة، حاول أن يتصرف بها كشاعر يقدّر المعرفة التراثية، وينابر، في الوقت نفسه، مقوّماتها ومركّباتها الأساس. إن الرؤيا الكاشفة عن خبايا الكون كمفهوم شعري طوّرته مجلة «شعر» اللبنانية في ستينيات القرن المنصرم، لا يمكن إلا أن تكون مختلفة عن التعامل مع قشور الوجود. من هنا لا يمكننا اعتبار «رؤيا» مجموعة تقليدية ومالوفة، بل تحتوي على بذور التمايز ورؤية الباطن العميق؛ رؤية الحقيقة. وفي طريق قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر المتحررة ليس فقط من الإيقاعية التقليدية وإنما المتحررة من القيود الأيوبية الشعرية والتعابير المقولبة، ضمن منظومات ثقافية مفروضة مسبقاً. أضاف هذا التحول عند البرغوثي الكثير إلى شعره، من حيث الإيجاز وتكثيف تصوراته لما أسماه يوسف الخال «مشكلات الحياة الكبرى».

في مجموعته الشعرية الثانية «ليلى وتوبة. قصائد من المنفى إلى ليلى الأخيلية» التي أصدرها عام 1993، يتناول البرغوثي مسألة الصياغة اللغوية الشعرية من منطلق تحويل التعبير الشعري والثقافي الفلسطيني إلى تعبير يثير القلق ويبحث عن العمق. هذه المجموعة التجريبية الأولى عند البرغوثي، برأيي، تطرح مقولة التحدي الأدبي الجادّ الذي ينحو بالأدب العربي، والفلسطيني منه على وجه الخصوص، نحو مفهوم التأمل الوجودي الباطني الفلسفي الأبقى للتعامل مع المسألة والكينونة الفلسطينيتين. تقوم الصياغة اللغوية، برأيي، تطرح مقولة التحدي الأدبي الجادّ الذي ينحو بالأدب العربي، والفلسطيني منه على وجه الخصوص، نحو مفهوم التأمل الوجودي الباطني الفلسفي الأبقى للتعامل مع المسألة والكينونة الفلسطينيتين. تقوم الصياغة اللغوية، التي تبلورت في هذه المجموعة، على التجريب اللغوي المفارق، بل والمتحدي للأنساق الكتابية الفلسطينية العربية، فظم الشعر التقليدي بتصرف وفق النظام الإيقاعي، غير آبهٍ بالشكل، إنما بالاستزادة من هذا التراث كطريق للعبور. هكذا جاءت مجموعته الأولى «رؤيا» عام 1988 بلغة مختلفة وإيقاعات متوارثة، حاول أن يتصرف بها كشاعر يقدّر المعرفة التراثية، وينابر، في الوقت نفسه، مقوّماتها ومركّباتها الأساس. إن الرؤيا الكاشفة عن خبايا الكون كمفهوم شعري طوّرته مجلة «شعر» اللبنانية

> جاءت مجموعته الأولى «رؤيا» عام 1988 بلغة مختلفة وإيقاعات متوارثة

الأخيرة، هو إشارة مهمة لما تمثله الحرية كقيمة مطلقة في مجمل أعماله. ما قدمه البرغوثي من كتابة شعرية يتجاوز الشعرية التقليدية الفلسطينية الحديثة ليصبّ في إنتاج نصوص شعرية وغير شعرية عابرة للأنواع الأدبية. نصوص منتهكة ومخترقة للتعريفات المتعارف عليها. لا يمكننا التغاضي عن القيمة الأدبية للبرغوثي الذي تعاقلت عنها المؤسساتية الثقافية العربية والفلسطينية. وعلى الرغم من بعض الدراسات التي تناولت أدبه، خصوصاً بعد وفاته، إلا أنّ مشروع البرغوثي لم يُنصف نقدياً. يمكن للبرغوثي، برأيي، أن يكون بامتياز وحصراً صاحب القدرة الأدبية لكسر طوق النقد الأدبي الفلسطيني الموجّه، واختراق قدسية تناول الشخص الواحد أو الشاعر الواحد والأوحد بالنقد، وهو عارض من عوارض آزمة النقد الثقافي الفلسطيني خاصة والعربي عامة، الذي ينحصر ضمن شخصيات متداولة ورموز أدبية معروفة، ويتجاهل عمداً أو عن غير عمد بقية مركّبات هذه الحركة الثقافية الواسعة. إن الحركة الثقافية والأدبية التي تعتمد على شخوص محدّدة، لا يمكنها البتة فهم السيرورة الأدبية الحقيقية التي تمثلها، بالتالي لا يمكنها فهم عمق الوجود الثقافي الفلسطيني أو العربي. حسين البرغوثي الذي اختار قرار الصمت، وفي كثير من الأحيان، كمشروع حياة بديل، يمثّل الطرح المتحدّي بعمق للتيارات المركزية المسايرة. مشروعه الثقافي المتنوع وعلاقته بعنصري الزمان والمكان هما بمثابة صراخ في صحراء، قلّة مَن سمعته بعمق.

يمكن للشعر أن يكون ترياقاً عنده ضدّ الانحدار نحو الممارسات القمعية والظلم. عرّى البرغوثي، أكثر من مرة، العلاقة بين الفلسفة والشعر والفنون الجميلة التي خاضها، وهي الصلة نفسها التي وضعها هايدغر في قلب أفكاره. ممّ تتكون هذه العلاقة؟ لطالما اعتقد البرغوثي في ممارسته الثقافية العامة أن الفلسفة والشعر ليسا جوهرين منفصلين، بل قوّتان تميلان إلى المجال المتميّز للغة في اتجاهين متعاكسين: المفهوم/المعنى الصافي والمحتوى النقي. لا شعر وكتابة من غير فكر، كما أنّ لا فكر من دون لحظة شعرية. إن البحث عن الحقيقة في مشروعه الثقافي هو أساس متين، لذا لطالما اعتمد على فقه اللغة ركيزةً أساسيةً في كتابته، لأن فقه اللغة والفلسفة، وحب الكلمات وحب الحقيقة متشابكان. فالحقيقة تكمن في تلك التي تنحرف عمداً عن مسار التعبير الأدبي الفلسطيني المألوف في تلك الفترة، من أجل تأسيس شعرية متحدية للوضوح القاتل الذي كان البرغوثي ألد أعدائه. في مجموعته الرابعة «مرايا سائلة » عام 2000، يكمل البرغوثي في مسارات تحفّظه للواضح «القاتل»، إذا صحّ التعبير، ويلتجئ إلى التعبير الحدسي المتحرر من القيود المنطقية العادية، كأنه في تبنيه للحدس، يتجاوز حواجز التعبير والقول نحو تحرر كامل. إن مسارب التحرر هذه هي على ما يبدو المسألة الأهم في كتابة البرغوثي في كل ما كتب، والتفكير الحدسي في مجموعته

> جاءت مجموعته الأولى «رؤيا» عام 1988 بلغة مختلفة وإيقاعات متوارثة

الأخيرة، هو إشارة مهمة لما تمثله الحرية كقيمة مطلقة في مجمل أعماله. ما قدمه البرغوثي من كتابة شعرية يتجاوز الشعرية التقليدية الفلسطينية الحديثة ليصبّ في إنتاج نصوص شعرية وغير شعرية عابرة للأنواع الأدبية. نصوص منتهكة ومخترقة للتعريفات المتعارف عليها. لا يمكننا التغاضي عن القيمة الأدبية للبرغوثي الذي تعاقلت عنها المؤسساتية الثقافية العربية والفلسطينية. وعلى الرغم من بعض الدراسات التي تناولت أدبه، خصوصاً بعد وفاته، إلا أنّ مشروع البرغوثي لم يُنصف نقدياً. يمكن للبرغوثي، برأيي، أن يكون بامتياز وحصراً صاحب القدرة الأدبية لكسر طوق النقد الأدبي الفلسطيني الموجّه، واختراق قدسية تناول الشخص الواحد أو الشاعر الواحد والأوحد بالنقد، وهو عارض من عوارض آزمة النقد الثقافي الفلسطيني خاصة والعربي عامة، الذي ينحصر ضمن شخصيات متداولة ورموز أدبية معروفة، ويتجاهل عمداً أو عن غير عمد بقية مركّبات هذه الحركة الثقافية الواسعة. إن الحركة الثقافية والأدبية التي تعتمد على شخوص محدّدة، لا يمكنها البتة فهم السيرورة الأدبية الحقيقية التي تمثلها، بالتالي لا يمكنها فهم عمق الوجود الثقافي الفلسطيني أو العربي. حسين البرغوثي الذي اختار قرار الصمت، وفي كثير من الأحيان، كمشروع حياة بديل، يمثّل الطرح المتحدّي بعمق للتيارات المركزية المسايرة. مشروعه الثقافي المتنوع وعلاقته بعنصري الزمان والمكان هما بمثابة صراخ في صحراء، قلّة مَن سمعته بعمق.

يمكن للشعر أن يكون ترياقاً عنده ضدّ الانحدار نحو الممارسات القمعية والظلم. عرّى البرغوثي، أكثر من مرة، العلاقة بين الفلسفة والشعر والفنون الجميلة التي خاضها، وهي الصلة نفسها التي وضعها هايدغر في قلب أفكاره. ممّ تتكون هذه العلاقة؟ لطالما اعتقد البرغوثي في ممارسته الثقافية العامة أن الفلسفة والشعر ليسا جوهرين منفصلين، بل قوّتان تميلان إلى المجال المتميّز للغة في اتجاهين متعاكسين: المفهوم/المعنى الصافي والمحتوى النقي. لا شعر وكتابة من غير فكر، كما أنّ لا فكر من دون لحظة شعرية. إن البحث عن الحقيقة في مشروعه الثقافي هو أساس متين، لذا لطالما اعتمد على فقه اللغة ركيزةً أساسيةً في كتابته، لأن فقه اللغة والفلسفة، وحب الكلمات وحب الحقيقة متشابكان. فالحقيقة تكمن في

في تأملاته حول المكان وغرائزه، وحول الذات التي سكنت بديلها الزمني في رحم المكان وأخذت تتشكّل في بطء وصمت، منقطعة عن الضجيج في عملية إدراك العالم. نحو الامرئي بديلاً عن المرئي، واللامنظم بديلاً عن المنظّم، والحر بديلاً عن المُمأسس، كان البرغوثي يؤثّث لفكرة

«الهيتروتوبي»... أو الفلسطيني إذا اكتمل

ريم غنايم *

ما من قضيّة، اليوم، قادرة على طرح نفسها، والتجدّد في جوهر التفكير الفلسفي والسياسي والأدبي مثل القضيّة الفلسطينية. لا يقتصر هذا التجدّد على طاقتها في مساءلة مفهوم الحرية في مرحلة بناء الحريات وانـدثارها الآن، ولا لكونها تُعيد في كل مرة خلق ديالكتيكيات ثنائية للديالكتيك المركزي للسلطة والمعرفة، بل لأنّها تظلّ دوماً القضية الأكثر قوّة في حضورها الإنساني، وقدرتها على إعادة الإنتاج الامتناهية لفكرة عجز العالم عن التخلص من همجيّته كلّما عبرَ ريلكه «هذا العالم نُشيّده فينهار ثمّ نُشيّده ثانيةً فننهار نحن».

ضوء البرغوثي هو ترسيمات لمآمل، إشعاع على حاضر بحالة اغتراب من ذات واعية على اغترابها. والأزرق هو نداء قادم من بعيد، من صوت يكتب لاستئصال قلقه المتأصل فيه، نسمع صدى استغاثته في كتابة حسين البرغوثي. وإذ بدا هذا الصوت قريباً، إلا أن صاحبه يبقى في مكانه، لا يفعل شيئاً سوى الكتابة، والكتابة والكتابة التي لا تنتهي إلا مع موت صاحبها.

وبالتالي فتحتها على دلالات وتصوّرات مصقولة حول اللغة ودورها في تكثيف الرؤية حول المكان وعلاقته المتحوّلة معه. من هناك، يأتي الكاتب والمفكّر والشاعر، من التأمّلات التي تجمع بين الوهم والأساطير والخرافات والواقع والذاكرة والراهن والمستقبل. خليط من أفكار تبدو أحياناً عائمة على سطح الشعر وسحر اللغة، لكنها في الحقيقة حالات اكتشاف لا متناهية لمعنى المكان الفلسطيني الذي يكسرُ حاجز الزمن وحاجز التراتبية مجرداً من حمولاته السياسية والمعرفية لاتجاه الاتجاه. هكذا هي طريق الغموض التي سلكها البرغوثي في سيرورة الاكتمال، ودخلت دهاليزُ الحركة نحو كل الأمكنة والفضاءات، لتُعيد خلق وتشكيل المكان الفلسطيني البديل، المكان الجديد القادم من رحم العالم، لا من رحم ماساته فقط. بعيداً عن الإيديولوجي، قريباً من المعرفي، أخذ البرغوثي على عاتقه منهج الحفر الحر في أصول الأشياء لتتجاوزَ إرادة المعرفة لديه الخطاب السائد ويكتب المختلف والمغاير في عمق المألوف، ولعلّ أكثر ما يلخّص هذه الرؤية للمعرفة هو طرحه لفكرة الغموض كطريق بديلة: «وبدا لي أنني أرى فيه طريقاً بثلاث شعب كما في حكايات أهلي عن الجن: طريق الوضوح، وطريق الغموض وطريق الاعودة. في أيّة شعبة مشيتُ في بدايتي؟ ليس في طريق الوضوح، فقد عشتُ تائهاً 30 عاماً، وليس في طريق اللاعودة، فقد عدتُ إلى الدير، وبالتالي، مشيتُ، حتماً، في الغموض» (ساكون بين اللوز). هكذا، مستعيداً ذاكرة الجسد والتصوّر، يوغّل البرغوثي

> تقنية «الكولاج» جعلته يدمج بين الأغنية العامية، والشعر، والنثر

في تأملاته حول المكان وغرائزه، وحول الذات التي سكنت بديلها الزمني في رحم المكان وأخذت تتشكّل في بطء وصمت، منقطعة عن الضجيج في عملية إدراك العالم. نحو الامرئي بديلاً عن المرئي، واللامنظم بديلاً عن المنظّم، والحر بديلاً عن المُمأسس، كان البرغوثي يؤثّث لفكرة المكان الفراغ والبحث عن بدائل لمستقبل المكان. لم يكن مستقبل حسين سوى تأمّل في المكان العام، وإعادة النظر في أمكنته الخاصة. هذا الهوس بالمكان الجغرافي لم يكن سوى انفتاح على رؤية قادمة من مستقبل قريب بعيد، بعيد بقدر قربه وبُعده عن المكان. أتاح صاحب «الضوء الأزرق» لنفسه فرصة خلق المكان البديل في خياله، وهو المكان الذي ساعده على خلق مسافة تمكّنه من أن يظل كينونة مستقلة غير قابلة للخضوع للمصطلحات والمفاهيم، أن توجد بدائل، وطرائق جديدة في التفكير، في محاولات إعادة صياغة العلاقات بين الأشياء ومسمياتها، وبين الأشياء ومعانيها، لتشكّل المعرفة المساحة الوحيدة لحرية الوجود، على حد تعبير فوكو.

لا يُجدّ البرغوثي سوى صناعة الكلمات، وإجادة هذا العمل في تحديد الرؤى، هذا الكائن القادم من الماضي، الذي حيّد راهنه، وجبلَ هويةً مستقبليةً وتربّع في الزمن القادم من دون أن يتواجد فيه جسداً. من هنا، نجح في جمع مفردات الواقع الفلسطيني، وواقع الذات المتحركة بين زمان ومكان منفتحَين على محور الإنسان في العالم. المكان الكبير، ومحور الإنسان في العالم الأصغر ـ المكان

اللغة، والفيلسوف الذي يهمل هذا المكان هو فيلسوف مزيف، كذلك هو الشاعر، على حد تعبير جورجيو أغامبين. الفلاسفة، مثل الشعراء، هم أولاً وقبل أي شيء حرّاس بوابات اللغة، وهذه مهمة سياسية حقيقية، لا سيما في وقت يشهد بكل الوسائل طمس وتشويه معنى الكلمات.

إن مشروع البرغوثي الثقافي المتنوع، في الشعر («رؤيا »، «ليلى وتوبة. قصائد من المنفى إلى ليلى الأخيلية»، «ألفاظ أوحش من هذه»، «مرايا سائلة»)، والنقد («أزمة الشعر المحلي»، «سقوط الجدار السابع»، «الصوت الآخر»، «السادن»، «الناقة») والرواية («الضفة الثالثة للأردن») والمسرح («المزبلة»، «موسم للغراب» ، «وجوه» «حفلة على غفلة»، «لا لم يمت»)، ونصوص السيرة التي تحمل أبعاداً فلسفية وشعرية عميقة، («الضوء الأزرق »، «ساكون بين اللوز»، «الفراغ الذي رأى التفاصيل») و «حجر الورد» نصه ما بعد الحداثي، مشروعه المتنوّع هذا مشروع تدمير، يتبنى فيه البرغوثي الغموض الشائك والتراكيب اللغوية المركبة القادرة وحدها على فهم العالم الضبابي الذي يحياه إنسان هذا العصر، إذ «لا إبداع من دون تدمير» على حد قوله، لا إبداع من دون انتهاك الوضوح والتصريح، المسببين الأوضح لتسطيح الوجود.

هذا المشروع الثقافي المتنوع هو جدلية متشعبة للمكان والزمان، محاولة في فهم العلاقات غير العادية مع الأمكنة الذاتية والموضوعية، والعلاقات المبهمة مع الزمان الموجود أو المسروق، أو ما أسماه البرغوثي بـ «خارج الزمان». هذه الجدلية في كل مؤلفاته تصغي لصوت المتسكع أو الشريد الحديث المتنقل عبر المكان والزمان الذي يشوّش الثقافة (Culture Jamming) الاستهلاكية السائدة والفهم المسطّح للعناصر الوجودية، الفلسطينية والعربية والإنسانية عامة.

* أكاديمي وباحث فلسطيني

على موقعنا

ذكرى

حسين البرغوثي... باقٍ مع شجر اللوز

حوار أخير في السياسة والفلسفة والمشروع الأدبي

البرغوثي: يجب وضع الحداثة العربية في سياق استعماري

هذا الحوار الاخير غير المنشور مع حسين البرغوثي في صيف 1999، استثنائي لسببين: الاول لان ثلاثة شباب قادمين من نوعين ادبيين (القصة والشعر، ومن النقد ايضا)، يحاورون إحدى اعمق وانبل الشخصيات الادبية، حسين البرغوثي. والثاني هو ان الاسئلة التي طرحت في هذا الحوار، لم تطرح عليه من قبل، وبالتالي، فهي تشكل مفاتيح مهمة للتعرف إلى فكر وفلسفة هذا الإنسان الذي لا يكفّ عن إدهاشنا

حاوره **زياد خداش، مالك الريماوي ووليد الشيخ**

■ خداش: تبدو الآن متصالحاً مع: المكان، الناس، العائلة والوطن. في السابق، كنتَ مختلفاً جداً مع كل شيء، ما الذي حدث؟

— في الثمانينيات كانت الخرائط مفروزة في منظمة تحرير، وإلى احتلال على سبيل المثال، وإلى أجهزة تابعة لكليهما. بعد أوسلو وانهيار الاتحاد السوفياتي والمتغيرات التي حدثت على الساحة العالمية والمحلية والعربية، أعيدت صياغة الأمكنة الذهنية، إضافة إلى نظام الأشياء. هذا كان يعني النظر إلى الخريطة الجديدة بمفاهيم جديدة، تسمح بقراءة أدق وأسلم وأكثر مغامرة، إن جاز التعبير، من القراءات السابقة. مثلاً، لم تعد كلمة «يسار» تعني ما كانت تعنيه. كذلك كلمة «سلطة»، لم تعد العلاقة بين الأشياء والكلمات واضحة. كان يجب تقديم مفاهيم جديدة للتعامل مع هذه المرحلة. أحد المفكرين السود ويدعى كورنل وست كتب مقالة سمّاها «المثقف النبوي» الذي يضع أمام المثقفين السود «ثقافة الاقالة». لا يوجد أمامهم إلا أربعة حلول لمواجهة الشتات: أولاً: أن يندمج المثقف مع التيار السائد، وهذا يقود إلى نتائج على إبداعه ورؤياه. ثانياً: أن ينعزل عزلة مطبقة، وهذا له نتائج على إبداعه، وهذا الخيار أحياناً ينتج عظماء، وأحياناً ينتج دمارا. أما الثالث: فأن تكون موجوداً خارج التيار السائد وأن تطمح إلى أن تكون داخله، ولهذا الموقف نتائج أيضاً. ويفضّل وست الخيار الرابع: وهو أن تحتفظ بأسس رؤياك وجذورها وأن تتعامل مع أفضل ما يمكن أن يكون سائداً، وهذا يعني المحافظة على استقلالية الرؤية، وأعتقد أن الخيار الرابع هو خياري.

■ الريماوي: كيف يمكن طرح بدائل رؤيوية، وأهم مفهومين «السلطة والمعارضة» هما مفهومان غير واضحين وملتبسان؟

— رؤياي تقول ما يأتي: ما دام هناك جهاز دولة من أي نوع، أعتقد أن هناك مشكلة لديه، ليس هناك دولة تتفق مع رؤياي. أي دولة مهما كان شكلها، يمينية أو يسارية أو اشتراكية، هذه هي رؤياي الداخلية، أحلم بوجود لا دولة فيه ولست مع المثالية لأحلم بأن هذه الرؤية قد تتحقق خلال قرن، أرى أنه دائماً ستكون هناك دولة على الأقل طوال حياتي وفي حياة أجيال قادمة. وهذه الواقع مهمة لا يمكن أن نعزل أنفسنا عنها، ويجب أن نجد مخرجاً ما بين وجود واقع أنت تراه خارج رؤياك، ووجود رؤية نقدية. في الواقع، نتعامل مع التاريخ وليس مع المثل لأن المثل المجردة تقود إلى عبادة الشخص نفسه، وتقود إلى الدمار الروحي فيه، الشيء الآخر وهنا أنا «نيتشوي» أرى أن التاريخ الإنساني خلق فكراً يقول «لا للحياة»، وخلق حياة تقول «لا للفكر»، وهذا أساس المرض في العالم كله. إذاً مسألة الرؤية لا أقصد بها الوضع في فلسطين، ولا أقصد الرؤية الدينية أو السياسية. الرؤية المقصودة هي التي تختص بالتاريخ ككل بما حدث ويحدث وسيحدث. أنا مقتنع تماماً بعلي شريعتي عندما درس التجربة الإيرانية وخرج بنتيجة أنه يكفي أن تكون منحازاً للضحايا، وأنا منحاز للفقراء والضحايا، ويجب أن يكون داخل القلب كنوز، بالمعنى الصوفي إن جاز التعبير. يجب أن تستند الرؤية إلى تنوير داخلي وليس فقط إلى مرجعية تاريخية، لأن نتائج ذلك قادت إلى جرائم.

■ خداش: نصك المدهش «حجر الورد» يبدو محتفظاً بطاقة سحرية سريّة. حدثني عن هوية هذا النص الذي يبدو بلا مرجع، وعن دوافعه؟

— هو محاولة رؤية للتاريخ، يجب أن تحرم فيها ما يسمّى «الواقع» من كونه المقياس أو المعيار القيمي والأخلاقي أو الفني أو الجمالي للنص. أعتقد أن الهدف هو تحويل الواقع ذاته إلى سطح أو خيار لا مرجعية ثابتة أو صحيحة بالضرورة. كنت أطمح إلى تحويل الواقع بواسطة النص إلى نص آخر، لأن التاريخ كما رسخ، رسخ باعتباره المرجعية الأولى للخيال والروح، وهذا واقع مبتذل. لذلك، يجب تجريده من زعمه أنه يستطيع كما هو أن يكون مقياساً. الهاجس الثاني في «حجر الورد» كان دفع اللغة نحو أقصاها، نحو الموسيقى المحضة. وعندما تتحول اللغة إلى موسيقى محضة، تتحول إلى لعبة كلمات أو تختفي كمفردات، تصبح موسيقى أو إيقاعات، ودفعها، أيضاً، إلى الاتجاه المعاكس تماماً، لتتحول إلى لوحة بمقدار ما يمكن. وفي هذه المساحة المتطرفة من الموسيقى في لغة تكاد تنهار إلى موسيقى محضة ولغة تكاد تنهار إلى لوحات محضة، تقوم بفعل جذري لإحداث انهيار في الخطاب. وفي هذه المساحة من الانهيارات، تفتح ثغرة جديدة لرؤية الرؤية التي أتحدث عنها. الفكرة التي تبلورت مع إبراهيم المزين أنه يقوم هو برسم مجموعة لوحات تعبّر عن رؤياه لحوار أجريناه معاً حول النص، وأقوم أنا بكتابة رؤياي الخاصة، ونضع اللوحات والنص معاً، بحيث لا تكون اللوحات مجرد تعليق أو ترجمة أو ملحقاً بالنصوص، ولا يكون النص ملحقاً باللوحات، فيكون هنا «تخالف» بين النصين بطريقة تفتح الأبواب واسعة للتناقضات. إذا كان صحيحاً أن التاريخ وحدة وصراع المتناقضات، فقد كنا نريد أن نخلق نصاً فيه وحدة وصراع الأضداد، أعتقد أن النصوص الأدبية عموماً، ربما بسبب بنية المجتمع العربي تنجح إلى التشابه داخل النص، وتطمح إلى التصالح. أما أنا، فأطمح إلى بنى تقود إلى تناقض في القصيدة. مثلاً أطمح إلى قصيدة تستوعب «الأسعار في الحسبة» على رأي محمود درويش: قصيدة تدخل إلى داخلها الحياة بكل جزيئاتها الصغيرة والمتنوعة، ولا تنعزل إلى مجرد غنائية بسيطة. هذا، أيضاً، له صلة بالمتناقضات، تناقض بين الأدب والحياة، وجعل الأدب منعزلاً عن

> **«حجر الورد» محاولة رؤية للتاريخ. يجب أن تحرم فيها ما يسمّى «الواقع» من كونه المعيار القيمي والأخلاقي او الجمالي للنص**
>
> **شرط الهزيمة موجود، ليس فقط في الأدب المهزوم، بل في الأدب المقاوم وهذا ينطبق على ما قبل اوسلو وبعده**

نبض الحياة الدائم. وهذا أحد الجذور التي قادت إلى قصيدة النثر، فقصيدة النثر كانت تريد صلة أكبر بإيقاعات الحيازة.

■ الريماوي: ذكرت أن القلب وحده دون العقل هو منطق مجنون، أليست هذه محاكمة للقلب من خلال مقاييس العقل ومركزيته؟

— ما أسمّيه القلب، أو ما سمّاه التاريخ سيُفهم بشكل خاطئ إذا ما تم تصوره مستقلاً عن المنطق، سواء كان منطقاً أسطورياً أو رياضياً عقلياً، القلب لا ينمو وحده. هناك جدل قائم بين العقل والقلب. القلب، أيضاً، ينضج ويتطور مثله مثل العقل. لذلك يمكن أن أقول شخصياً «إنني أنقد القلب بالعقل»، فمثلاً عندما كنت مراهقاً، كانت تخطر في بالي أسئلة من نوع إذا كانت توجد مشاعر بدائية أكثر من اللازم أو مشاعر «قردية» وليست هي الشكل الوحيد للمشاعر، في النص الجديد «الضوء الأزرق»، هناك جملة بهذا المعنى «كما يوجد تخلف قلب، هناك متخلفون عاطفياً أيضاً»، وهذا يعني العمل الدائم على تطوير القلب.

إن مصطفى سعيد، في «موسم الهجرة إلى الشمال» عقلي ضخم، لكن فيه تخلف قلب، وهذه اللعبة بين العقل والقلب ضرورية في أي رؤية. أنا ضد أن يوضع العقل في قفص الاتهام باعتباره لا يعني شيئاً، وضد أن يرفع القلب دون أيّ شروط إلى مستوى الألوهية أو النبوّة. هناك جدل عميق بين العقل والقلب، كالجدل بين رحم الأم والجنين. نيتشه قال: «إن العقل يجب أن يكون بمثابة أحشاء القلب».

■ خداش: مبكراً جداً كتبت هواجس الروح الخفية وأسرارها وقواها، في مرحلة كان البوح بهذه القضايا يشبه اتهاماً بالخيانة. الآن الكل يتحدث بلا توقف عن الحداثة أو أدب ما بعد أوسلو. هل أدب ما قبل أوسلو عار أو سبّة في جبين الثقافة الفلسطينية؟ وما هي الحداثة؟

— في السياق الأوروبي، للحداثة معانٍ مختلفة، تمتد لقرون ويوجد جدل حولها. أما عندنا، فالحداثة لا معنى لها، لذلك أفضل التفكير من دون مفاهيم مستوردة، أفضل عدم الكلام عنها أصلاً، فهو أفضل للأدباء. أمّا عن أدب ما قبل أوسلو باعتباره عند بعض الناس شتيمة، وما بعد أوسلو هو نبوّة، فهذا منطق ابتذالي، بالنسبة إليّ: جانب معين في الحداثة عربياً هو عملية التفاعل بين المناطق التي كانت للعثمانيين ومناطق أوروبا التي كانت تدخل في الرأسمالية. هذا أنتج بنى الرأسمالية الأوروبية، والبنى العربية ما قبل الرأسمالية وهي بنى زراعية. هذه الحداثة العربية يجب أن توضع في سياق استعماري. عملية التحديث عندنا حدثت ضمن سياق تبعية، لذلك فنقد الحداثة عندنا سيأخذ أشكالاً مختلفة عن نقدها في أوروبا. والفكر الحداثي عندنا له أشكال مختلفة عن حداثة أوروبا.

■ الريماوي: ما يجري في الحياة الثقافية الفلسطينية، هل هو انتصار لرؤية أم خضوع لمنطق الهزيمة السائدة، بمعنى هل هو تقدم إلى الأمام أم هروب إلى الخلف من مواجهة أخطبوط العولمة وامتداداته المحلية؟

— يبدو لي أنك تستطيع أن تجادل بأن الثقافة العربية بعد القرون الوسطى دخلت مرحلة هزيمة تاريخية لم تخرج منها حتى الآن، الهزيمة الفلسطينية بعد أوسلو وسقوط الاتحاد السوفياتي جاءا ضمن هزائم متتالية وتاريخية، وتستطيع أن تقول، أيضاً: إن الفكر العربي بمقدار ما كان يحاول الخروج من هذه الهزيمة، فإنه، أيضاً، نتاج للهزيمة.

■ الريماوي: ماذا عن الهزائم الفلسطينية، لا نستطيع إطلاق هذه الصفة بشكل عام على الثقافة الفلسطينية، يمكن أخذ نماذج مختلفة بأشكال مقاومة وأشكال تساوق وأشكال الهزيمة لكن يجب أن نكون أكثر حذراً في إطلاق التعميم. هناك فروق كبيرة ما بين رسام ورسام، وكاتب وكاتب. أما أن جو الهزيمة حاضر، فهذا صحيح وهو شرط مفروض عليك أن تتعامل معه؟

— على سبيل المثال: ما معنى قول «سجّل أنا عربي» لمحمود درويش أمام الحاكم العسكري الإسرائيلي؟ هو تأكيد العروبة والانتماء أمام الهزيمة، وهي قصيدة مقاومة، لكنها لم تكن لتبرز هذه المقاومة لو لم تكن أتت تحيا ضمن هزيمة، وما معنى التأكيد على فلسطينيتك أصلاً لولا وجود هزيمة وخطر محو وجود. إن شرط الهزيمة موجود، ليس فقط في الأدب المهزوم، بل في الأدب المقاوم وهذا ينطبق على ما قبل أوسلو وبعده.

■ خداش: ما هو دور المثقف تجاه ما يجري من فساد وانحرافات وتخريب؟

— هذا سؤال إشكالي. في الماضي، حُمل المثقف أكثر بكثير مما يحتمل بالمعنى الذي سمي «الدور». يبدو أن هذا الدور نجح في جعل الكثير من الفلسطينيين، مثقفين سياسيين ومساهمين في السياسة، لكن له نتائج سلبية على الأدب. وبالتالي فمفهوم الدور قابل للجدل: هل يوجد للمثقف دوره؟ وإذا وجد، هل هذا الدور بالشكل الذي يتصوره الشارع أو الناس السياسيون؟ في رأيي إن الإجابات التي أعطيت لهذه الأسئلة كانت ساذجة على سبيل المثال: هل تحويل اللغة هو دور المثقف، أم لا؟ وإذا لم يحوّلها، فهل هو يخضع للنظام السائد؟ كثير من المثقفين لم يحوّلوها وكانوا مُنضبَين كممثلين للثورة، وهل هو ضروري هذا الدور؟

الحوار كاملاً على موقعنا

مقتطفات من أعماله

عندما نشر حسين البرغوثي الباب الأوّل من «سأكون بين اللوز» (2006 ـ سيرة، نُشر كاملاً بعد وفاته، وكان قد نُشر، قبل وفاته في مجلة «الكرمل»)، سارع محمود درويش إلى الاحتفاء به، مصرّحاً: «لعله أجمل إنجازات النثر في الأدب الفلسطيني». وعندما صدر في كتاب، قدّم له الشاعر أحمد دحبور. هذه الشهادة والانتباهة من شاعرَيْن ينتميان إلى جيل أكبر تضع الإصبع على القيمة الأدبية والتجنيس الذي لا يخفى على عين متفحّصة: نحن أمام نثر فني شذْري، يتّخذ من الحكي ذريعة، ليتصادى مع النثر الفني العربي التراثي (المتن الصوفي) والأساطير الكنعانية، الرافدينية والإغريقية، في لغة وقاموس ثيُّوزُوفِيَيْن (حلوليَّين) تتناسخ فيه كلّ الكائنات، مستثمِرَة طبيعة ريف رام الله في صراع مع المحتلّ الصهيوني لا على سردية تاريخية فحسب، وإنما أيضاً على المكان.

في الوقت نفسه، لا يسعنا إلا أن نلاحظ التحول نفسه في شعر زكريا محمد الذي يستثمر نفس الزمكان وبنفس الشكل الأدبي: مُقَطّعات شعرية بدون عنوان، وربما كان من الجدير أن يتصدى أحد النقاد الفلسطينيين لهذا الاستثمار الشعري شبه الغنوصي لطبيعة ريف رام الله، مع إيلاء رمزية ذاكرة المكان عنايةً خاصةً في نصرة السردية الفلسطينية على السردية الصهيونية: الصراع يكون على الذاكرة أولاً، ليتم وصلها بالحاضر، وهو صلب المشروع الفكري لحسين البرغوثي، الذي يطفو على سطح شذراته الحكائية في تَفَكُّرات لا يمكنها إلا أن تذكّرنا بالنثر الشعري لروسو الغائص في الطبيعة، عبر كتابه: «أحلامُ يقظة المتنزه المتوحّد». يتصادى نثر البرغوثي أيضاً مع التراث الرحباني عبر توظيف مقاطع غنائية منه بين الفينة والأخرى، وهو في هذا يتشابه مع نصّين آخرين من النثر الفني «السردي» الفلسطيني الذي تحظرُ ظِلاله في متن «سأكون بين اللوز» خصوصاً: «الوقائع الغريبة....» لإميل حبيبي، و«ذاكرة للنسيان» لمحمود درويش. بهذا تكاد تكون لأهم ثلاثة نصوص سردية فلسطينية نفس الذّاكرة السمعية ونفس التجنيس الذي يجمع كل الأجناس الكتابية ويستثمرها من دون أن ينتمي حصراً إلى أي واحد منها. احتفاءً بكاتب فلسطيني متفرّد في ثيماته وأشكال كتابته، اخترنا هنا مقاطع نثرية من كتبه الثلاثة الأهم، مع إيلاء الشعر حيزاً أقل لأسباب يجدها القارئ في شهادة زكريا محمد ضمن هذا الملف. لا تقرأنَّ حسين البرغوثي، الشهيد الحي، المتجلّي بين اللوز، إلا وأنت مسلّح بكل ما قرأتَه سابقاً من أساطير ونثر صوفي، مع ما علق بذاكرتك من ألحان الرحابنة.

تقديم واختيار **رشيد وحتي**

بين الولادات الجديدة وثلّاجة الموتى

I. حجر الورد

لم يكُ ما يكفي من الأرض لخطوة حين جاء، ولا ما يكفي من السماء لوجه ماطر أو لدعوة، ولم يكُ أيضاً حزيناً، وكأنّه شعر بإزاحة من المكان، شعر كمن جاء يودّع سكّان الأرض. وأعرف، تعاليمه كانت بلا فائدة، وكنا نحن أيضاً متعبين، مياه كثيرة وقمر واحد، أقمار أكثر مما يجب، في هذه الصحراء الحمراء ولم يكُ ماء ولا أمل. وحتى هو كان ينفلت أحياناً عشائه، وتقعد له في المقلاة. أنا يزورني شبح أبي، وأخي، وصديق استحمّ قبل سنين وتعطر ومشط شعره، ليلاً، وفي الصباح ذهب إلى تظاهرة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي وقتل. ارتعبت، ليس من موته، لك، كان غريب الزيّ واللغة. كنا نلتفّ عليه كزنزانة، فينبسط كبحر وينسرح، ومحيطات أخرى فيه ظلّت خارج العبارة.

II. الضوء الأزرق

كثيرون في فلسطين ماتوا شنقاً أو ذبحاً أو سمّاً أو برصاص أو قصف أو بطرق أخرى، ومن ظلّ منّا حياً، تزوره الأجسام الذهنية لموتاه، وتشاركه في عشائه، وتقعد له في المقلاة. أنا يزورني شبح أبي، وأخي، وصديق استحمّ قبل سنين وتعطر ومشط شعره، ليلاً، وفي الصباح ذهب إلى تظاهرة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي وقتل. ارتعبت، ليس من موته، بل من كونه كان يحضّر نفسه للموت. نزورني أرواحهم، وقد صارت عظامهم مكاحل، في بلد يسيطر فيه الموتى على الأحياء، والماضي على المستقبل. هذه هي سلطة الذاكرة. وفي منطقة عميقة يقاس تاريخها، ليس بقرون، بل بالفيات، الذاكرة خطرة جداً، معمل أشباح... لا نستطيع العيش بذاكرة عميقة كهذه، ولا من دون ذاكرة، أيضاً، ما الحلّ؟

■■■

كنت أتخيّلني ذئباً، أحياناً، ولكن بدل أن أهجم نحو ثيران الرعاة ليلاً، واستبيح ما أستبيح، كنت أتخيلني واقفاً في الغروب، أمام شفق بعيد، على تلة، وأعوي في حزني، الحزن ضعف ولو صرت به شبه إله يا أنكيدو، والشعور بالذنب ضعف ولو صرت به قدّيساً يا أنكيدو، والشفقة على أي شيء وعلى نفسك ضعف ولو صرت بها مسيحاً.

III. ساكون بين اللوز

بعد ثلاثين عاماً أعود إلى السكن في ريف رام الله، إلى «هذا الجمال الذي تمّت خيانته». نفيت نفسي، طوعاً، عن «بدايتي» فيه، واخترت المنفى، وأنا ممن يتقنون «البدايات» وليس «النهايات»، وعودتي، بالتالي، «نهاية» غير متقنة. كان القمر بدراً، والهواء صقيعيّاً في جنائن اللوز حول بيتنا وأنا أتجوّل بين الظلال وأتامل في هذه «النهاية». أرجعني إلى هنا مرضي بالسرطان، ووجع في أسفل الظهر مستمرّ إلى حد الملل. والملل، كما قال عنه كيركيغارد: «مرعب إلى حد لا يمكنني عنده أن أصفه إلا بالقول بأنه مرعب إلى درجة مملّة». والمرض، عندي، وجهة نظر في الحياة.

■■■

وأنا تائه أسأل عن دكتور أمراض الدم. فتردد ممرضة متوترة: «نحن في حالة طوارئ، ألا ترى؟». فأدرك أنني شخص زائد عن الحاجة، مريض متطفّل يمشي نحو مصيره وحده، بهواجس فردية، لست «زائراً»، ولا «معافى»، ولا جريحاً ولا على وشك الشهادة، بل أنا «مريض عادي»، أي لفظة حائرة بين قاموسي الموتى والأحياء، بين الولادات الجديدة في الطابق العلوي، وبين ثلاجة الموتى في الطابق السفلي.

■■■

خطرت ببالي «ذاكرة المكان» هذه، وأنا واقف فوق الخرائب. غريباً، في قمة جبل مغطى بغابات صنوبر وسرو وبلوط، تشعّ أضواء النيون من مستعمرة إسرائيلية تدعى «حلميش»، عندهم، و«مستعمرة النبي صالح»، عندنا. أضواء باردة، كاشفة، ومحاطة بأسلاك شائكة. وبدت المستعمرة معلقة في الفضاء، ربما بسبب الضوء أيضاً، ولم تلمس الأرض، ولا التاريخ، بعد.

ماذا يرى مستعمر جاء من روسيا أو إستونيا، ربما، قبل سنة فقط، حين يفتح الآن شباكه، ويحدق في نفس هذه الجبال التي أنا فيها؟ ماذا يرى، أو يدرك من هذه الجبال التي تسبح في تاريخها وتبزغ منه؟ لن يرى، حتماً، الأفعى الملوّنة التي تطير وتزغرد فوق الخرائب، ولن يسمع هذا الصوت الذي يبكي، ولا هذا السرّ الذي يجعل حتى مصاباً بالسرطان يمشي فيها في الواحدة ليلاً، لن يلمس التاريخ، ولو كان عزافاً، ليس تاريخي أنا، على الأقل، ولو كان إلهاً.

■■■

وأنا واقف فوق الخرائب تلك، شعرت بفرق شاسع بين نوعين من «الضوء»: القمر والنيون في المستعمرة. كان الأخير مرتبطاً، ومهيمناً، حادّ البياض، منتشراً حتى وراء الأسلاك الشائكة التي تعزل كل مستوطنة عن محيطها، أشبه ما يكون بـ «رؤيا مسلحة»، باحتلال بصري، ومعمار ضوئي لدولة تهذي حتى في منامها برؤى مسلحة ومُضاءة بالنيون. وبدت المستعمرة كلها كتاباً في النفس أيضاً: في العلاقة بين «القوة» و«الضوء»! لم يدرس أحد، بعد، العلاقة بين القوة والضوء!

■■■

قيل إن في القصب سراً إلهياً، كان الله سيحانه قد أودعه في صدر النبي محمد، ولم يستطع النبي تحمّله فباح به إلى علي بن أبي طالب، وأمره أن لا يبوح به لأحد. ولم يستطع علي تحمّله، أيضاً، فذهب إلى واد عميق وبعيد وباح به لقصب ذلك الوادي. من يومها وكل ناي من القصب تصدر عنه نغمة هي سر إلهي ممنوع لفظه بالكلام. وحزن الناي، كما يقول مولانا جلال الدين رومي، حنين الخشب أو القصب الذي صُنع منه إلى غاباته الأولى التي قُطع منها، إلى «أصله»، أو «واديه الأول».

■■■

وبدأت أرجع، سراً، إلى جبال الطفولة المقمرة، إلى هذا الجمال الذي سبق وخنته، رجعة غير محكمة. واكتشفت بأنني ابن الحياة، لا الموت. وشيء في الجبل كان يقول لي، كلما حدقت في الزيتون والأودية المقمرة: حتى ولو بقيت لك سنتان للعيش، فإن سنتين هنا أعمق من قرنين «هناك». قاوم! هذه الأرض لك، قاوم! كنت واقفاً أمام الشباك، مطلاً على الحرش، والصنوبر واللوز، وخطر ببالي أن بترا، زوجتي، ستنهار إن انهرت، «قاوم، لا لأجلك، قاوم». وشعرت بأن الجبل يهتف بي: «قل لها، مهما حدث، إن زرتني، ساكون بين اللوز! ستكون شمس، ويكون نوار يتطاير في الهواء، وتكون جنائن، ويكون نحل وطريق نحل، وحتى يأتي ذلك الوقت، قاوم».

■■■

وتخيّلت بأنني سأذهب إلى «الدير الجوّاني» بحثاً عن «مدينة لاسمي»، يمكن أن أسمّيها «قدورة»، مدينة قدورة! وهي من «مدن الخيال»، وشوارعها من حكايات. وأستطيع أن أبنيها بشفتيّ، وشفتيّ أمّي، وأن أنقلها إلى أيّة شفاه تحبّ أن «تحكي قصصاً». مدينة من هباء: «إنت من وين؟/ أنا من بلد الحكايات».

المقتطفات كاملةً على الموقع

السبت 15 كانون الثاني 2022 العدد 4536
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
كلمات

ذكرى

حسين البرغوثي... باقٍ مع شجر اللوز

شكراً للحياة

زكريا محمد *

في الشارع الرئيسي في رام الله، «شارع رُكَب»، التقيته. كانت قد مضت شهور على إصابته بالسرطان، وعلى جرعات علاجه المكثّفة. وكان متفائلاً. قال إنّه يُحسّ بأن 95 في المئة من الورم قد انتهى، وأن ما تبقّى هو «عقدة صغيرة هنا»، واضعاً إصبعه أسفل حنكه وأعلى رقبته. وكان واثقاً تقريباً بأنّ هذه العقدة ستتفكّك.

روى لي كيف أن الأمر بدأ معه بالعرق. كان يصحو من النوم مبلّلاً كما لو أنه يسبح في البحر بملابسه. ثم تبيّن أنه سرطان الغدة اللّيمفاوية. وكان السرطان قد زارني عام 2000 قبل أن يزوره. لكنّه كمن لي في القولون. وحين عملت المنظار، كانت الشاشة أمام عيني، والكاميرا الصغيرة في رأس المنظار تعرض لي أنفاق أمعائي وكهوفها. الإنسان غريب عن جسده. غريب عن أعضائه. لا يعرف الإنسان دواخله. وهي تبدو كما لو أنها لا تخصّه. وهو يحسّ بهذه الأعضاء فقط عند المرض. وكانت الكاميرا تعرض أنفاق قولوني كما لو أنها تعرض مشهداً من كهوف العصر الحجري القديم الأعلى المعتمة. وعند لحظة محدّدة، عرضت لي فطراً ضخماً يسدّ النفق في نقطة معينة. بدا لي الفطر هائلاً كما لو أنه فطر قنبلة هيروشيما. وحين انتهى الطبيب، سألته عن الفطر، فقال لي:

ـ إنه تالول (ثؤلول)، وطلب مني أن أذهب إلى طبيب محدّد كي أزيله. كان يريد أن يخفّف عني. لم يكن يريد أن ينطق الكلمة المخيفة: سرطان.

ثم قصّوا الورم وقصّوا معه شريطاً طويلاً من قولوني، ونجوت. لكن الفطر الضخم في قولوني لم يُغادر ذاكرتي. كلّما تذكرت دواخلي، أمعائي، أحسست بانفجارات تشبه انفجارات هيروشيما وناغازاكي. سوف تحكم هذه الانفجارات حلمي ونومي.

لكنني بعد أن نجوت، كنت أعرض نفسي على من يصيبهم السرطان من معارفي كي أقنعهم بأنّه يمكن النجاة. وهكذا حاولت أن أسوّق قصتي عند حسين البرغوثي. لكن حسين كان متفائلاً بطبعه. كان يأخذ الأمر بسلام، ويثق بجسده وبالعلاج.

وبعد شهور طويلة زرته في المشفى. كان حوله عدد من أصدقائه، وكان منهكاً ويتنفّس بصعوبة، لكنّه يناقش مع ذلك. النقاش هو جوهر حسين ولبّه. كان يمشي مثل سقراط ويناقش مثله. كان مشاءً مجادلاً، وبالمعنى الإيجابي لكلمة مجادل. وفي لحظة ما قال لزائريه في المشفى:

ـ شكراً للحياة.

أدهشتني العبارة. كانت الحياة تفلت من بين يديه، تخونه، ولا تعطيه الفرصة، لكنه كان يشكرها! وكان هذا غريباً بالنسبة لي. لا أعرف كيف أمكنه فعل ذلك. لعله كان يفصل بين الحياة والموت، ويعطي لكل واحد منهما حصته. فالموت هو الذي يخونه لا الحياة. لذا فهو يقبّل يدي الحياة في لحظات رحيله. ذكّرني هذا بموت القدماء. فحين كان يحلّ موتهم، يصحو الواحد منهم فجأة صحوته الأخيرة، ويجلس على سريره، ويجمع أبناءه قائلاً: «أي بَنِيّ»، ثم يتلو عليهم وصيّته وحكمته ويمضي. لم

> **شعره كان تمزّقاً بين درويش وبين نقيض درويش**

يكن موت القدماء ممكناً من دون هذا المشهد. هذا مشهد الختام، ويجب أن لا يفوت أبداً. وكان حسين البرغوثي يجلس وأمامه منضدة، والأنابيب في معصميه، وفي أنفه، وهو يقول:

ـ شكراً للحياة.

كانت علاقتي بحسين البرغوثي جيّدة. لكنّنا لم نكن أصدقاء. كنا نلتقي في الطريق، أو نلتقي في «مركز خليل السكاكيني» حين يأتي كي يسلّمني مادة للنشر، باعتباري سكرتير تحرير مجلة «الكرمل»، أو كي يرى محمود درويش. ومرة دخلنا إلى مكتب محمود درويش معاً. ولا أذكر من الحوار سوى جملة واحدة قالها درويش عن شعر حسين: «نصّك مُغوي». هذا ما أذكره فقط. وكان حسين فخوراً بهذا الوصف من محمود درويش دوماً.

قبل ذلك، كان حسين قد حكى لي بشفته تجربة «الضوء الأزرق». أخذتني التجربة كلياً. قلت له:

ـ ولماذا لا تكتب التجربة؟ لماذا تبقيها شفوية؟

وبعد شهور عاد وفي يده فصل من كتاب «الضوء الأزرق» الذي لم يكن بعد قد صار كتاباً. ونشرنا الفصل الجميل في «الكرمل».

كان نثر حسين متيناً. بل يمكن القول إنه وصل حدّ الكمال تقريباً. أما شعره فلم يصل إلى هذا الحد. قدمه النثرية كانت راسخة في الأرض، وقدمه الشعرية تحاول أن ترسخ بعد. شعره كان تمزّقاً بين درويش وبين نقيض درويش. تقرأ مقطعاً فتحسّ بلغة درويش المتدفّقة وإيقاعاته العالية، ثم تقرأ مقطعاً ثانياً فتحسّ بأنه لا علاقة له بدرويش مطلقاً، بل إنه يعاديه ويغادره. هكذا كان يجمع بين النقيضَين: الافتتان بدرويش، والافتتان بذاته وتجربته.

وحين أتحدّث عن افتتان حسين بذاته، فلا أقصد المعنى البسيط للافتتان. فلم يكن حسين من ذلك النمط الذي يُفتن بما ينتجه ويفاخر به. كان افتتانه بذاته طرازاً من التعامل مع الكون والحياة. يمشي بشعره الطويل الذي جعّده وجعله يتدفق لوالب ذهبية تصل إلى كتفيه. يمشي ببنطاله ذي الجيوب الكثيرة جداً، مستعداً لأن يقف مع من يصادفه في الشارع ساعة أو ساعتين مناقشاً ومتسائلاً. ويمكن لي أن أقول إنه كان يخترع قيافة أخرى مختلفة. قيافة فيها بساطة وتحلّل من التقاليد والقوانين. لم يكن يقدم نموذجاً في اللغة والفكرة، بل في اللباس والسلوك.

ولهذا فُتن طلّابه به. لم أر أحداً فُتن طلابه كما فعل حسين البرغوثي. كان أسطورتهم. وقد انغرس هؤلاء الطلاب في المشهد الثقافي في فلسطين بعمق. صاروا مفكرين، وكتاب رواية، وشعراء، وباحثين، ومهتمين بعلم النفس والأنثربولوجيا.

رحل حسين البرغوثي في أصعب اللّحظات. كانت الانتفاضة الثانية قد كُسرت، وتحوّلت إلى حصار قاس مدمر، وكانت دبابات العدو تجتاح المدن، وتطحن بجنازيرها الأفق كله. لكن حسين كان قادراً على أن يقول بسلام لا مثيل له:

ـ شكراً للحياة.

* شاعر فلسطيني

شكر خاص لـ «المتحف الفلسطيني» الذي زوّدنا بكل صور حسين البرغوثي المنشورة في الملحق، كما لـ «دار راية» التي نشرت منذ فترة الأعمال الكاملة للكاتب الراحل.

Samedi 15 Janvier 2022 no2 1ère année
السبت 15 كانون الثاني 2022 العدد الثاني السنة الأولى

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

نشرة أسبوعية مخصّصة للعدل والإنصاف

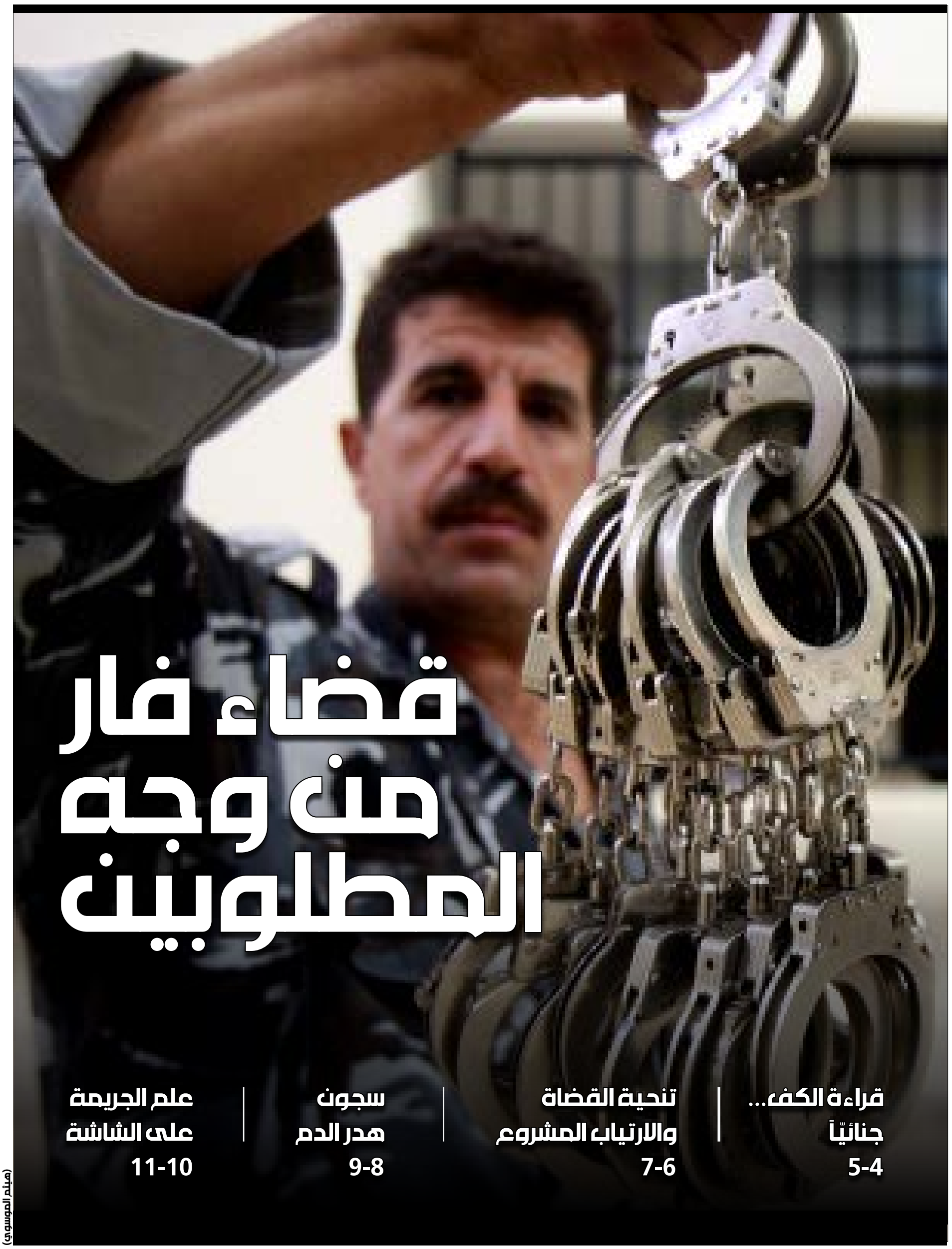

قضاء فار من وجه المطلوبين

قراءة الكف... جنائيّاً 5-4
تنحية القضاة والارتياب المشروع 7-6
سجون هدر الدم 9-8
علم الجريمة على الشاشة 11-10

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

ماذا لو قرّر الجيش وقوى الامن توقيف جميع المطلوبين؟ اين يحتجزهم، وكيف يحرسهم، ويوفّر مياه الشرب والطعام والخدمات الصحية، فيما يعاني الجيش ومؤسسات الضابطة العدلية من صعوبات تامين حاجاتهم الاساسية في ظل الازمة الاقتصادية الخانقة؟ السجون والنظارات وسائر اماكن التوقيف في حالة يُرثى لها، حيث يزيد عدد السجناء عن 8000 يتوزعون على 24 سجناً ونظارة يفترض الا تزيد قدرتها الاستيعابيّة عن 4000 سجين وموقوف، في حال مراعاة المعايير الدولية. اما الدوائر القضائية والنيابات العامة والمحاكم فتعاني من تراكم الملفات في ظل غياب المكننة ونقص اعداد القضاة والنواب العامين والموظفين، مع غياب الرقابة على عملهم، وترهل قصور العدل والمحاكم والمكاتب والاقلام. ما زاد الطين بلّة انتشار جائحة كورونا، ما ادى إلى تاخير البت في ملفات عديدة، وزيادة الضغط على الجسم القضائي

مذكرات (بلا) توقيف
قضاء فارّ من وجه المطلوبين

(ارشيف ـ مروان طحطح)

■ احمد مدلج

يتفق الكثير من الفارين على أنّ تسليم انفسهم ليس أمراً وارداً. هذا ما يقوله ابن الهرمل سامر (اسم مستعار) الذي صدرت بحقّه مذكرة توقيف غيابية عام 2017 بعد الاشتباه فيه بإطلاق عيارات نارية في الهواء من سلاح حربي خلال حفل زفاف. لا يثق الشاب الثلاثيني بالقضاء، لأن توقيفه سيستمر سنوات قبل أن يحين موعد محاكمته بسبب بطء الإجراءات القانونية. اختار سامر «السيئ على الأسوأ»، مع علمه بأنّ مدة عقوبة جنحة إطلاق النار في الهواء تتراوح بين ستة أشهر وثلاث سنوات (المادة 1 من القانون رقم 2016/71).

أمّا كريم (اسم مستعار) الذي أبلغته القوى الأمنية بوجود ضبط مخالفة بناء صادر بحقه، فقد اتصل بالضابطة العدلية لتوضيح الخطأ لأنّه كان قد سدّد قيمة الضبط قبل صدور الحكم، إلا أنّ الرجل الخمسيني لم يجد أذاناً صاغية، فقرّر عدم تسديد قيمة المخالفة من جديد، وعدم الحضور أمام الضابطة العدلية والبقاء في قريته العين البقاعية.

هذا أيضاً ما حصل مع ابن حورتعلا، جعفر (اسم مستعار) الذي صدرت بحقّه مذكرة توقيف عام 2018 بعد الاشتباه فيه بتجارة المخدرات. يدّعي الشاب الثلاثيني أن لا علاقة له بتجارة المخدرات، فالأمر محض تشابه أسماء، مع فرد آخر من عائلته. لا يخفي جعفر غضبه من كونه مطلوباً بريئاً، خصوصاً أنّ قريبه يحظى بدعم سياسي. وبسبب غياب «الواسطة» قرر جعفر عدم الحضور الى المخفر وعدم الوشاية عن قريبه لتجنب المشكلات العائلية.

> **البقاع: الدولة اللبنانية لا تعرف عدد مطلوبيها**
>
> بعد أن توجهت «القوس» إلى النيابة العامة ودائرة التحقيق والمحاكم العدلية والمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي في البقاع لمعرفة عدد المطلوبين لدى محافظة بعلبك والهرمل، كان الرد بعدم قدرتهم على تحديد أعداد المطلوبين ومذكرات التوقيف الصادرة بحقهم، بسبب غياب المكننة والأرشفة، إذ يتطلب تحديد أرقام المطلوبين مراجعة آلاف الملفات المكدسة في قصور العدل. يبقى تحديد هذا الرقم عبر تخمينه من أحزاب سياسية أو منظمات غير حكومية (حيث حُدّد الرقم بما يقارب 25 ألف مطلوب).

> **لا يثق المطلوبون بالاجهزة الامنية والقضائيّة، إذ يرون انّ الوصول إلى محاكمة عادلة وسريعة امر مستبعد**

وتاقلم جاد (اسم مستعار)، الذي يقطن في الهرمل، مع واقع كونه مطلوباً بعد صدور مذكرة إحضار بحقه لعرضه مادة الهيروين والقنب الهندي (الحشيش) للبيع. عقوبة هذه الجناية الأشغال الشاقة المؤبدة وغرامة من مليون إلى مئة مليون (مادة 125 معطوفة على مادة 13 قانون المخدرات). وبسؤاله عن سبب عمله في تجارة المخدرات، يشير الشاب إلى عدم وجود خيارات لكسب المال بعد أن ترك دراسته الجامعية بسبب تفاقم مشكلاته المادية وعدم قدرته على مساندة عائلته.

على عكس جاد، فوجئ يوسف (اسم مستعار) بعد عامين من تأجير أرضه الزراعية إلى أحد أبناء بلدته بوجود مذكرة توقيف بحقه بتهمة زراعة حشيشة الكيف، ما يعرّضه للعقوبة ذاتها وفق المادة القانونية السابقة. يدّعي الرجل الستيني البراءة بسبب عدم علمه بقيام المستأجر بزراعة الحشيشة في أرضه، إلّا أنّه رفض حضور الجلسة لغياب ثقته بالسلطة القضائية التي سوف تدينه وتحاكمه كونه صاحب الأرض، بحسب قوله.

السجن يلاحق المطلوب

يعيش المطلوب، بصرف النظر عن براءته أم لا، في سجن حقيقي حتّى قبل تسليم نفسه ويبقى محروماً من ممارسة أبسط حقوقه. ليس تنقل بحرية متاحاً، ولا يمكن للمطلوبين إصدار بطاقات هوية أو جوازات سفر، أو التسجيل في الجامعات، أو توقيع أي عقد قانوني، بما فيها عقود الزواج وحصر الإرث. لا يثق المطلوبون بالأجهزة الأمنية والقضائية، إذ يرون أنّ الوصول إلى محاكمة عادلة وسريعة أمر مستبعد. وفي المقابل، يعاني الجسم القضائي من نقص في القضاة والعاملين والموظفين، علاوة على عملهم بطريقة أقرب إلى الاستنسابية في ظلّ غياب الرقابة. وما يعزّز قلة ثقة المطلوبين بالقضاء التدخلات السياسية في السلطة القضائية وفي عمل الضابطة العدلية، وفق ما يقول المحامي يوسف الجمّال.

نقل لنا قضاة عديدون غياب أبسط حاجاتهم، كانقطاع الكهرباء، وعدم تجهيز القصور النائية في فصل الشتاء، وحاجتهم إلى القرطاسية التي كانوا يشترونها من مالهم الخاص قبل الأزمة الاقتصاديّة. كما تحدّثوا عن مماطلة الأجهزة الأمنية في تسريع جلسات الاستجواب، فيما يعزّو العناصر هذا الأمر إلى قلة عديدهم وآلياتهم أو تعطّل بعضها، بالإضافة إلى سوء أحوال الطقس في المناطق البعيدة.

ليست الإجراءات القضائية وسوء إدارة السجون وحدهما ما يمنع المطلوبين من تنفيذ مذكرات التوقيف الصادرة بحقهم، لأنّ بعضهم ليس قادراً على تغطية تكاليف المحاكمة، إذ إنّ المعونة القضائية التي يطلبها المدعي أو المدعى عليه عند عدم تمكنه من دفع رسوم ونفقات المحاكمة (مادة 425 من قانون أصول المحاكمات المدنية) غير متوفرة نظراً لإفلاس الدولة اللبنانية العاجزة عن تأمين المعونة لجميع الخصوم في الدعاوى.

كلّ ذلك يبطئ إجراءات المحاكمة ويُدخل آلاف المطلوبين في نفق مجهول، بحسب المحامي عباس صفا، ليكون العفو العام هو المخرج الطبيعي، علماً بأنّه أزمة وليس حلاً، لأنّه يحوّل المجتمع إلى مجتمع جنائي بسبب عدم ارتباطه بمشروع إصلاحي ورقابي يضمن إبعاد المستفيد منه من عالم الجريمة تحت طائلة إعادة ملاحقته بالملفات الجنائية التي استفاد من العفو عنها.

في المحصلة، لا تملك السلطة السياسيّة مشروعاً واضحاً لحل أزمة المطلوبين سوى طرح العفو العام عند الاستحقاقات الانتخابية والسياسيّة أو لاسترضاء شارعها. وعليه، لا يُمكن للقوى الأمنية تنفيذ مذكرات التوقيف بسبب عدم قدرة السجون ومراكز التوقيف على استيعاب أعدادهم في ظل النقص الحاصل أصلاً في تلبية حاجات السجناء الموجودين. ما يعني إبقاء الحال على حاله، وهذا ما تفضّله الدولة كما يبدو.

قوانين لا تُطبّق

تحاول السلطة السياسية صياغة الحلول الموجودة أصلاً عبر اقتراح قوانين جديدة، لتكون «منّة» منهم على السجناء للحد من الاكتظاظ الحاصل. هذا ما يحصل حين يتضمن أحد الاقتراحات حلاً موجوداً في قانون أصول المحاكمات الجزائيّة يُمكن أن يحل جزءاً من المعضلة عند تطبيقه.

أهمّ هذه المواد:

المادة 108

لا يجوز أن تتعدّى مدة توقيف مرتكب جنحة غير محكوم عليه سابقاً الشهرين، يمكن تمديدها مدّة مماثلة كحدّ أقصى في حالة الضرورة القصوى. كما لا يجوز أن تتعدّى مدة التوقيف في الجناية (باستثناء جنايات القتل والمخدّرات والاعتداء على أمن الدولة والجنايات ذات الخطر الشامل وغير المحكوم عليه سابقاً) 6 أشهر يُمكن تجديدها مرة واحدة بقرار مُعلّل.

المادة 138

تسمح للنائب العام بإطلاق سراح المدّعى عليه في حال استئناف القرار القاضي بتركه ولم تبت الهيئة الاتّهامية قرارها خلال مهلة 24 ساعة. تطبيق هاتين المادتين وتكليف هيئة التفتيش القضائي بـ «تفتيح أعينهم» لحسن سير العمل يعني حكماً خروج أكثر من 20% من السّجناء من مقرات توقيفهم.

مذكرة التوقيف
تصدر عن قاضي التحقيق

وجاهية
عند الاستماع لموقوف يتبين أنه ارتكب جرما
المادة 171
من قانون اصول المحاكمات الجزائية

غيابية
بعد تخلف المتهم عن الحضور

مذكرة إحضار
يصدرها النائب العام أو المحامي العام عند وقوع جريمة مشهودة، ويتوارى المشتبه به عن الأنظار أو لم يكن حاضرا عند بدء التحقيق
المادة 32
من قانون اصول المحاكمات الجزائية

بلاغ بحث وتحر
يصدر عن النيابة العامة، من قاضي التحقيق عبر مذكرة احضار. عند التأكد من الفاعل فيصبح مطلوبا، أو يقوم ببلاغ بحث وتحر لمعرفة هوية المطلوب. تكون مدة هذا البحث عشرة أيام يمكن تمديدها لمدة ثلاثين يوما ويسقط حكما بعد هذه المدة. فيعد تمديدها بعد الثلاثين يوما مخالفا للقانون
المادة 24
من قانون اصول المحاكمات الجزائية

كتاب المعلومات
عمل استقصائي، يصدر عن الضابطة العدلية فور علمها بجريمة أو عند ورود أي معلومة من مخبر، هو غير منصوص في قانون اصول المحاكمات الجزائية أو اي قانون آخر. يصل إلى الضابطة العدلية التي تباشر بالتحقيق بشأن ما ورد فيه وتحيله إلى القضاء
اجتهاد
من محكمة جنايات طرابلس

الطفّار

(هيثم الموسوي)

«بدي بطّل طافر مرة/ ودبلوماسي كون/ انزل كل ليلية على الحمرا/ واجتمع بمثقفين/ لنسكر بالقهوة/ ونتناقش كيف الإنسان ممكن يعمل ثروة» كلمات ناصر دين وجعفر، مؤسّسا فرقة «الطفّار»، أولاد بعلبك الهرمل التي تلخص واقع عديد من أبناء منطقتهم، التي تنقل معاناة المهمشين ومنهم الطفّار.

"ما منعرف غير القلق". يردد معظم الطفار المقولة ذاتها. القلق يلاحقهم أينما ذهبوا حتى إلى أعالي الجرود البقاعية على ارتفاع 2000 متر وما فوق. يلجأ الطفار إلى جرود بعلبك والهرمل البقاعية بمساعدة العشائر للاختباء من القوى الأمنية التي تلاحقهم، هم الذين ارتكبوا جرائم القتل والسرقة وتجارة وتعاطي المخدرات. يصل عددهم إلى حوالى 200، وقد صدر حكم قضائي بحقهم فأصبحوا معروفين بالفارين من وجه العدالة، صعاليك (كلمة تنسب للهاربين من القبائل العربية وقوانينهم فيلجئون إلى الصحراء للهروب من العدالة)، طفّار.

استعملت كلمة «طفّار» للمرة الأولى في ظل السلطنة العثمانية حيث كان أهالي البقاع المتمردون على السلطنة يفرّون إلى الجرود خوفاً من الاعتقال. وخلال مقاومة الاستعمار الفرنسي كان أهالي منطقة بعلبك الهرمل يطفرون إلى الجرود، هروباً من الاعدام. يطفرون من العثمانيين والفرنسيين ومن دولتهم اللبنانية. تعتبر الجرود المكان الأنسب للطفار لصعوبة الوصول إليها ولعدم وجود أي طرقات عامة ومؤهلة لبلوغها. يستعمل الطفار عادة بيك آب رباعية الدفع، معدّلة كي تصلح للسير والوصول إلى الجرود. يعيشون ضمن مجموعات، يتشاركون الطعام والمنامة. وحين يأتيهم خبر مجيء دورية للقوى الأمنية يتفرقون كيلا يلقى القبض عليهم جميعاً في نفس الوقت. يزور الطفّار أهاليهم بشكل مفاجئ ولوقت قصير نظراً لوضعهم الاستثنائي الذي يشكل خطراً على حياتهم وحياة عائلاتهم.

«لا ثقة بالدولة ولا ثقة بالجسم القضائي»، هذا جواب معظمهم حين يُسألون عن سبب عدم تسليم أنفسهم بدلاً من العيش في مثل هذه الظروف الصعبة، «ما في دولة أصلاً لنسلّم حالنا». فإهمال الدولة لمناطق الأطراف ومنها بعلبك الهرمل وعدم مساعدة سكانها في ظل الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الصعبة عبر إقامة مشاريع إنمائية تؤمن وظائف وفرص عمل لردع المواطنين عن ارتكاب الجرائم، لمنحهم خياراً بديلاً عن مسار الحياة الجرمية لكسب لقمة العيش كان أحد أهم الأسباب التي أجبرت الطفّار على ارتكاب أفعالهم، وعلى عدم تسليم أنفسهم لنيل عقوبتهم. «عقوبتنا هي أصلاً انه خلقنا هون/ وعايشين بهيك ظروف/ بدنا حل مش عقوبات زيادة».

تحت القوس

رهن الممكن

■ عمر نشابة

عدم تنفيذ آلاف مذكرات التوقيف الصادرة عن القضاء، يضعف مكانته وينزع عنه صفة «السلطة».

أصبح إحقاق الحق من خلال القضاء رهن الممكن، ولا يُفترض بالسلطة القضائية أن تعمل وفق منطق الممكن. فحكم القانون ليس مسألة ظرفية، بل دائمة.

قد يضاعف توسيع النظارات وبناء سجون جديدة عدد الموقوفين احتياطياً، بعكس ما يظن البعض. أما تسريع عمل القضاء فقد يكون على حساب عدالة قراراته وأحكامه.

ويبدو أن القوى الأمنية والعسكرية التي تسعى إلى التغلب على الصعوبات الناجمة عن الأزمة المعيشية الحادة التي يمر بها البلد، لن تشن عمليات مداهمة للقبض على آلاف المطلوبين. وهؤلاء، لن يسلموا أنفسهم للقضاء رغم العيش في حذر دائم.

المشكلة ليست بسيطة، وهي تدل على خلل جذري في النظام القضائي اللبناني.

يستدعي هذا ورشة عمل تشريعية لا تنطلق من اقتراح قوانين عفو كما درجت العادة في السابق، فقوانين العفو التي يتكرر صدورها منذ الاستقلال بشكل شبه منتظم، غالباً ما تكون مجرد فرصة للقوى السياسية والطائفية لكسب أصوات انتخابية من دون أن تحل المشكلة.

الحلّ المطلوب أصعب من قدرة النظام الحالي عليه، لأن نهج الحكم وممارساته لا يشيران إلى جدية في التعامل مع التحديات والمصائب. وقد لا تكون النية متوفرة أصلاً. ولا عجب في ذلك إذ إن تعذّر إصلاح القضاء يوسّع هامش التلاعب بالعدالة. واللاعبون كثر.

المباحث العلمية

إعداد
جنان الخطيب

قراءة الكف... جنائيًا
الشيطان يكمن في التفاصيل

هل تعلم ان يديك تخفيان اسرارا عن عملك الإجرامي؟ ساتمكّن من قراءة «يديك» وإخبارك ماذا تقولان. هذا بسيط، تعكس راحة يدك نشاطك الاجرامي، بينما تخبرنا اصابعك واظافرك عن ضحيتك. بما ان عملية تقصي آثار اليدين إحدى اهم الطرق التي يلجا إليها الخبراء الجنائيون، ستراهم يجلسون طويلاً امام المشتبه بهم، يغوصون و يبحثون بدقة جنائية عالية عن الآثار و المواد والكدمات والجروح الموجودة على ظاهر اليد وراحتها والاصابع وتحت الاظافر. عند التعامل مع الجرائم المعقدة مثل الاغتصاب والاعتداء، ياخذ كل اثر دورا اساسيا. غالبا ما تكون الايدي الوسيلة الوحيدة للدفاع والهجوم لدى الضحية بالإضافة إلى كونها منطقة احتكاك متكرر بالبيئة. يبحث الخبراء في اليدين عن الآثار البيولوجية وغير البيولوجية ذات الاهمية الخاصة لإعادة بناء الجرائم. كما يحلّل الخبراء اشكال انماط بقع الدم على ظاهر اليد واحجامها لاستنتاج موقع واتجاه اليدين، وبالتالي اتجاه السلاح الناري. ويساعد تحليل مخلفات إطلاق النار على وجه الخصوص في تحديد ما إذا كانت الطلقة النارية قريبة او بعيدة

◆ آثار تحت الأظافر: ليست حمضاً نووياً فقط

أثناء الاعتداء الجسدي، غالباً ما تؤدي المقاومة الدفاعية الى نقل الأدلة البيولوجية (الشعر، الدم، ...) وغير البيولوجية (تراب، ألياف، ...) بين الضحية والمعتدي. على سبيل المثال، إذا خدشت الضحية المعتدي، فيمكن أن تحاصَر خلاياه الجلدية تحت أظافرها. ولذا يجمع الخبراء أدلة الأظافر، ويرسلونها إلى المختبر الجنائي. ومع أن أدلة الاظافر قد توفر مؤشرات مهمة في بعض التحقيقات، نادراً ما تُجمَع هذه الأدلة وتُعالَج وتُحلل.

تُجمع أدلة الأظافر بطرق مختلفة، قد تشمل قص الظفر أو مسحه من أسفل باستخدام مسحة صغيرة مبللة، أو كشط أسفل الظفر، باستخدام عود خشبي صغير. بمجرد جمعها، تُغلَّف أدلة الأظافر وتُنقَل إلى المختبر الجنائي، حيث تُحلَّل وتُعالَج. وكذلك، يُجرى الفحص المجهري للبحث عن علامات واضحة للمواد الخارجية مثل الدم، التربة، الشعر، الألياف. يمكن أيضاً العثور تحت أظافر أصابع الجاني على جزيئات دقيقة من الجلد ومستحضرات التجميل التي تكون قد انتقلت من ملابس الضحية أحياناً.

(القوس)

الجروح

نجد في جرائم عنيفة عديدة أنّ أيدي الضحية والجاني مغطاة بالجروح الدفاعية، التي قد تحدث بشفرة السكين، أو العض أو الخدش. فالضحية ستحاول حماية وجهها وجسمها العلوي من هجوم المعتدي، فيما يجد الجاني أحياناً نفسه في الطرف المتلقي وسيتعين عليه الدفاع عن نفسه من الهجوم.

يمكن أن تكون هذه الجروح ضحلة أو عميقة، طويلة أو قصيرة، وذات زاوية اعتماداً على كيفية اقتراب المهاجم من الضحية. فعلى الرغم من أن هذه الجروح قد تبدو للوهلة الأولى ليست أكثر من محاولة خندق أخيرة لإنقاذ النفس من الهجوم، إلا أنها مهمة أيضاً في تحديد الجاني إذا استمر الهجوم حتى نهايته.

يبحث الخبراء عن علامات الدفاع عن النفس على اليدين ويقومون بتصويرها وقياسها وبحساب عمقها. وفي المرحلة اللاحقة، يكون الخبير قادراً على بناء تحليل مفصل يتضمن ارتفاع الجاني، وربما وزنه، واتجاهه. كل هذه العوامل مهمة جداً عندما يتعلق الأمر ببناء صورة شخصية لمهاجم أو مغتصب متسلسل.

التربة

يمكن العثور على التربة، والرمل، والطين والمواد الأخرى على أيدي الضحية والمشتبه به، وعلى الأدوات المستخدمة في الجريمة، وفي مسرح الجريمة. توفّر هذه المواد أدلة ظرفية قيمة، ولكن غالباً يُتغاضى عنها لأن المحققين لا يدركون قيمتها الدلالية ولا الفحوصات المخبرية المتاحة لاستغلالها.

يعثر الخبراء الجنائيون الكيميائيون على الاختلافات والتشابهات التفصيلية بين عينات من التربة أو الصخور التي ضُبطت، ما يجعلها مفيدة كدليل للمقارنة بين عينات من يد الضحية وأخرى على ملابس المشتبه به لتحديد ما إذا كان المشتبه به قد تواجد في مسرح الجريمة. يبحث هؤلاء عن مدى الاختلاف بين العينات من حيث التركيبة المعدنية، النباتات/البكتيريا، مؤشر الكثافة (Soil Denstiy)، ومؤشرات أخرى تُمكّنهم من تحديد مصدر العينات بدقة.

الشعر والالياف

الشعر من أهم العينات في العلوم الجنائية، لأنّه يوفّر أدلة قيمة عن هوية المعتدي والضحية. غالباً ما يُستخدم الشعر تحت أظافر الضحية لتحديد عرق المعتدي وجنسه، كشعر العانة في جرائم الاغتصاب. ويمكن استخدام الشعر أحياناً لاستقراء الحمض النووي.

من ناحية أخرى، يمكن لوجود ألياف الملابس (fibers) تحت الأظافر أن يساهم إسهاماً مهماً في تحديد ما كان يرتديه المهاجم أو القاتل وقت وقوع الحادث. يستخدم العديد من الخبراء الجنائيين الألياف كوسيلة لتحديد طبيعة العنصر الذي تم ارتداؤه في بعض الحالات تكون هذه التقنية ناجحة جداً بحيث يمكن تحديد نوع الملابس وبالتالي الشركة المصنعة، ومن ثم تنتج قائمة بالمشتبه بهم المحتملين ببساطة من خلال عدد الوحدات المباعة.

◆ تناثر الدم يكمل القصة

يمكن ان توفر انماط تناثر الدم على يدي الضحية والجاني معلومات حول كل من الاحداث التي وقعت، وعن مكان الضحية والجاني في وقت تناثر قطرات الدم. يمكن استخدام الدرجة التي تكون فيها القطرات مستطيلة الشكل لتحديد السرعة التي كان الدم يسير بها وقت الاصطدام، والشدة النسبية للضربة الموجهة للضحية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للخبراء تحديد اليد المطلقة للنار (على سبيل المثال، الرذاذ الدموي على ظاهر اليد دليله قوي على ان اليد اطلقت النار)، وهو امر جوهري في جرائم الانتحار المفبركة.

(القوس)

كن شرلوك هولمز

بماذا تعتقد أن هذه اليد متورطة؟

شاركنا افكارك عبر البريد الالكتروني: info@alqaous.com

(القوس)

سين جيم

إعداد صادق علوية

تنحية القضاة والارتياب المشروع

عرّف القانون اللبناني في نصوصه معايير ومبادئ تتعلق بتنحية القضاة وردّهم، يعتبرها القانونيون «معايير صارمة»، بخاصة تلك المنصوص عنها في قانون أصول المحاكمات الجزائية (المواد 52، 340، 357)، وقانون أصول المحاكمات المدنية (المادتان 116،119). يمكن للقاضي أن يعرض تنحيه، ويمكن للخصوم أن يطلبوا رده (أي تنحيته)، ويمكن لهم طلب نقل الدعوى للارتياب المشروع إذا وجدوا سبباً يبرر الارتياب بحياد المحكمة (الفقرة 3 من المادة 116 من قانون أصول المحاكمات المدنية)

اعتبرت الهيئة العامة لمحكمة التمييز ان المحقق العدلي قابل للرد

القرار الذي يصدر بنتيجة طلب الرد لا يقبل اي طريق من طرق الطعن

1 ما الامر الذي يوجب تنحّي القاضي للارتياب المشروع؟

أرست محكمة التمييز تعريفاً لما يُخرج القاضي عن حياده ويوجب تنحيه، فاعتبرت أن ما يُخرج القاضي عن حياده هو تلك التصرفات أو المواقف التي تشكّل من حيث طبيعتها وأهميتها وخطورتها ما يوحي بأنه اتخذ موقفاً منحازاً تجاه أحد المتقاضين، مجرداً نفسه من صفة الحكم ومن النزاهة والعدالة الملازمتين لقضائه (الغرفة المدنية الثانية في محكمة التمييز – 37/1992). أو أن يكون تصرف المحكمة تصرفاً خاطئاً أو مظهراً من المظاهر التي يفترض ألا تقع فيها المحكمة عندما تقوم مهمتها بصورة عادية، ما يحمل على الشك بحيادها، وهو ما يُعرف بـ «الارتياب المشروع». ولكن، لا يجوز نقل الدعوى للارتياب المشروع إلا لسبب جوهري أو لوجود مصلحة ظاهرة وأكيدة للقاضي مع أحد الفريقين (قرار رقم 30 /1958 تاريخ 24/04/1958).

3 هل يقبل القرار الصادر برد القاضي المراجعة؟

نظّم المشترع القواعد القانونية التي ترعى رد القاضي في المادتين 120 و123 من قانون أصول المحاكمات المدنية، ونص على أن القرار الذي يصدر بنتيجة طلب الرد لا يقبل أي طريق من طرق الطعن، ولا يجوز الطعن في هذا القرار عبر دعوى مداعاة الدولة لمسؤوليتها عن أعمال القضاة العدليين (قرار الهيئة العامة لمحكمة التمييز رقم 9/2020 تاريخ 27/1/2020).

تنحية المحقق العدلي

تجدر الإشارة إلى أن الهيئة العامة لمحكمة التمييز اعتبرت أخيراً أن المحقق العدلي قابل للرد. محكمة التمييز هي المختصة في النظر في طلب رد المحقق العدلي أسوة بقضاة محكمة التمييز بقرارها رقم 38 تاريخ 25/11/2021، وبالتالي تكون قد أكدت أمرين:

1. جواز رد المحقق العدلي.
2. تعيين المرجع المختص للنظر برد المحقق العدلي أسوة بقضاة محكمة التمييز، أي محكمة التمييز، حيث يُقدَّم عرض التنحي أو طلب الرد في ما يتعلق بقضاة محكمة التمييز إلى هذه المحكمة، لتنظر فيه غرفة من غرفها يعيّنها الرئيس الأول لمحكمة التمييز.

2 من المرجع الصالح للبت بعرض التنحي من القاضي أو طلب الردّ من الخصوم او طلب النقل؟

يقدم عرض التنحي أو طلب الرد إلى:
- محكمة الاستئناف التابعة لها تلك المحاكم في ما يتعلق بقضاة محاكم الدرجة الأولى.
- محكمة الاستئناف ذاتها في ما يتعلق بقضاة محكمة الاستئناف.
- محكمة التمييز في ما يتعلق بقضاة محكمة التمييز.
- المحكمة التي يكون عضو النيابة العامة المطلوب رده تابعاً لها.
- الغرفة الابتدائية المختصة بنظر الدعوى أو الكائن في منطقتها القاضي المختص بنظر الدعوى لولا وجود التحكيم في ما يتعلق بطلب رد المحكم.
- المحكمة التي عينت الخبراء في ما يتعلق بطلب رد الخبراء.
- طلب نقل الدعوى يقدم إلى محكمة التمييز.

وقد رأى المحامي العام لدى النيابة العامة التمييزية القاضي عماد قبلان في مطالعته لتعيين المرجع المختص أن المجلس العدلي هو المرجع للمختص للنظر في طلب رد المحقق العدلي أو تنحيه (مطالعة المحامي العام لدى النيابة العامة التمييزية القاضي عماد قبلان تاريخ 2021-11-9).
واعتبرت محكمة الاستئناف (قرار محكمة الاستئناف المدنية في بيروت رقم 621/2007 الصادر بتاريخ 28/8/2007) أن محكمة استئناف بيروت مختصة للنظر بطلبات تنحي وردّ القضاة التابعين لمحاكم الدرجة الأولى ومحكمة الاستئناف في بيروت، وهي محاكم لا يتبع لها المحقق العدلي، وذلك على عكس قضاة التحقيق في هذه المحافظة.

4 ما حالات طلب نقل الدعوى إلى محكمة اخرى؟

يُقدَّم طلب نقل الدعوى إلى محكمة التمييز من أحد الخصوم في الحالات التالية :
1. إذا تعذر تشكيل هيئة المحكمة لعدم وجود عدد كاف من القضاة أو استحالة قيام المحكمة بأعمالها بسبب القوة القاهرة.
2. إذا كان بين أحد الخصوم وبين القاضي المنفرد أو القاضيين الذين تتألف منهم المحكمة أو رئيسها قرابة أو مصاهرة من جهة عمود النسب أو من الحاشية لغاية الدرجة الرابعة.
3. إذا وجد سبب يبرر الارتياب بحياد المحكمة.

ويجوز للنائب العام لدى محكمة التمييز أن يطلب الى محكمة التمييز نقل الدعوى إذا كان من شأن نظر الدعوى لدى إحدى المحاكم أن يحدث اضطراباً بالأمن.

5 هل يتوجب على القاضي التنحي في حال توافرت فيه إحدى حالات الردّ، وهل يجوز له الامتناع عن التحقيق؟

يجب على القاضي لزاماً أن يعرض تنحيه من تلقاء نفسه في الأحوال المبينة سابقاً، ولكن يجوز له أن يعرض تنحيه أيضاً لأي سبب، إذا استشعر الحرج من نظر الدعوى لأي سبب. ولا يجوز لقاضي التحقيق الذي تحال إليه الدعوى أن يرفض التحقيق فيها، بل يحق له أن يعرض تنحيه عن النظر فيها، ويحق لكل طرف من أطراف النزاع أن يطلب رده (المادة 52 من قانون أصول المحاكمات الجزائية).

«فورد» تطيّر رئيس محكمة عام 1959

في العام 1959 اشترى القاضي جان باز سيارة فورد من ميشال عيد وهو احد المتداعين في نزاع معروض امامه، فاعتبرت محكمة التمييز ان هذه الواقعة قد تثير الريبة والشك في عدالة المحكمة التي يراسها باز وقررت المحكمة بالاستناد إلى هذه الواقعة نقل الدعوى إلى محكمة اخرى. اللافت انه كان يقتضي ان تحقّق محكمة التمييز حينذاك في هذا الامر بوصفه رشوة وليس مجرد امر يدعو للريبة، ولكنها اكتفت بعبارة: «امر مؤسف».
واوردت المحكمة (تمييز مدني رقم 40/1959 تاريخ 05/05/1959 الرئيس بدري المعوشي): تبين من إفادة دائرة المواصلات بان السيارة فورد ذات الرقم 325 موديل سنة 1959 التي كانت تخص عيد، احد المتداعين في القضية المنوه بها آنفاً، قد سجلت بتاريخ 13 نيسان سنة 1959 لغاية 16 نيسان سنة 1959 على اسم رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضية.

6 ما الاسباب التي تجيز للخصوم طلب تنحية القاضي؟

عددت المادة 120 من قانون أصول المحاكمات المدنية ثمانية أسباب تجيز للخصوم طلب تنحي القاضي:
-1 إذا كان له أو لزوجه أو لخطيبه مصلحة مباشرة أو غير مباشرة في الدعوى ولو بعد انحلال عقد الزواج أو الخطبة.
-2 إذا كان بينه وبين أحد الخصوم أو وكيله بالخصومة أو ممثله الشرعي قرابة أو مصاهرة من عمود النسب أو الحاشية لغاية الدرجة الرابعة ولو بعد انحلال الزواج الذي نتجت عنه المصاهرة.
-3 إذا كانت له صلة قرابة أو مصاهرة لغاية الدرجة الرابعة بأحد أعضاء مجلس إدارة الشركة المختصمة أو بأحد مديريها وكانت لهذا العضو أو المدير مصلحة شخصية بالدعوى.
-4 إذا كان أو سبق أن كان وكيلاً لأحد الخصوم أو ممثلاً قانونياً له أو كان أحد الخصوم قد اختاره محكماً في قضية سابقة.
-5 إذا كان قد سبق له أو لأحد أقاربه أو أصهاره لغاية الدرجة الرابعة أن نظر بالدعوى قاضياً أو خبيراً أو محكماً أو كان قد أدى شهادة فيها. وتستثنى الحالة التي يكون فيها ناظراً بالاعتراض أو اعتراض الغير أو إعادة المحاكمة ضد حكم اشترك فيه هو أو أحد أقاربه أو أصهاره المذكورين.
-6 إذا كان قد أبدى رأياً في الدعوى بالذات ولو كان ذلك قبل تعيينه في القضاء. ولا يصح إثبات هذا الأمر إلا بدليل خطي أو بإقرار القاضي.
-7 إذا كانت بينه وبين أحد الخصوم عداوة أو مودة يرجح معها عدم استطاعته الحكم بغير ميل، ولا يستهدف القاضي للرد بسبب التحقير الذي يوجهه له أحد الخصوم.
-8 إذا كان أحد الخصوم دائناً أو مديناً أو خادماً للقاضي أو لأحد أقاربه لغاية الدرجة الثانية.

قاووش

تزداد سوء الأوضاع داخل السجون الـ 24 في لبنان. ماساة السجناء تتكرّر، وليس بيدهم حيلة. وحده التعبير عن الغضب، يمكن بنظرهم أن يُرضخ الدولة لمطالبهم

البسيطة. مرّة يُشعل هؤلاء حريقاً، ومرّة يحتجزون عسكريين، ومرات يؤذون انفسهم من خلال التشطيب أو ابتلاع أدوات حادّة. يصنّع السجناء «القطّاعات» التي تُستخدم

سكاكين أو أسلحة من الأدوات التي تسمح إدارة السجون بإدخالها إلى زنازينهم. لا يحتاج التشطيب إلى الكثير. حبوب مخدّرة كفيلة بمنع الإحساس بالالم وربما التلذّذ بمشهد الدم

يسيل من الجسم. كلّ ذلك ليعبر النزيل عن غضب ومعانات أو لكسب سمعة «المؤذي» حتّى يُحسب له حساب داخل السجن أو نتيجة لأزمات نفسية لم تُشخَّص

التشطيب سجون هدر الدم

خاص ـ **القوس**

داخل زنزانته، يجلس ربيع (اسم مستعار) في إحدى الزوايا. يستل قطعة حادة ويبدأ بتشطيب يده اليسرى، من ناحية ساعده تحديداً. الدم يسيل بغزارة، ولكن ربيع لا يتوقف. ينظر في أعين زملائه في الزنزانة. يعلو الصراخ. يزيد النزيف ويسقط ربيع أرضاً. ينهض والدماء غطت معظم أنحاء جسده. يصرخ. ثم يسقط من جديد.

يحاول زملاؤه السجناء المتجمعون حوله إقناعه على التوقف، من دون أن يتجرأوا على سحب الشفرة من يده. دقائق قليلة ويغمى على ربيع. سريعاً، يصرخ السجناء للعسكريين طالبين منهم فتح باب الزنزانة لنقل ربيع إلى الصيدليّة، حيث يكشف عليه أحد الأطباء ويقوم بالإسعافات الأولية بانتظار تحضير دورية تنقله إلى المستشفى بغية تضميد جرحه أو تقطيعه.

ربيع ليس وحيداً في إيذاء نفسه. حالات التشطيب تتكرّر. اتخذها بعض السجناء طريقة للتعبير عن اليأس أو للاحتجاج على الظروف السيئة خلف القضبان. يقول أحد السجناء الذي قام بتشطيب نفسه سابقاً إنّه كان يريد الانتقام لنفسه من خلال التشطيب إزاء الظلم الذي يتعرّض له وعدم مراعاة الشروط الإنسانية في السجن، بالإضافة إلى تعرّضه للمضايقات من زملائه في القاووش (غرفته)، ولو انّه فعلياً انتقم من نفسه.

ويقول سجينٌ آخر إنّ «الدولة لا ترضخ إلا للتشطيب»، مشيراً إلى أنّ غالبية الذين يؤذون أنفسهم هم من الذين يتعاطون حبوباً مخدرة وخصوصاً بنزكسول وريفوتريل وترامادول.

الاحتجاج بالدم

يشطب بعض السجناء أجسادهم سعياً لتحقيق مطالب محددة كنقلهم من سجنٍ إلى آخر أو من زنزانة إلى أخرى أو رفض النقل، أو حصولهم على أدوية مخدّرة، أمّا البعض الآخر فيشطب نفسه بهدف إبعاد تسلّط مجموعات لها سطوتها داخل السجن عليه. فما إن يؤذي السجين نفسه حتى يُصبح مُهاباً وتتناقل السنة السجناء روايات عن السجين الذي يجب الابتعاد عنه لأنّه «مؤذي».

ويقوم بعض السجناء، وخصوصاً تجّار الحبوب المخدّرة داخل السجن، بالإبقاء على شفرة داخل فمهم وتحديداً على اللثة فوق الأسنان العلوية أو حمل أدوات حادة في جيوبهم، لاستخدامها عند الحاجة. يهدف هؤلاء من خلال إيذاء أنفسهم إلى الانتقال إلى المستشفيات ليحاولوا الهروب منها أو بهدف تأمين كميّات من الحبوب المخدّرة من خلال الممرضين أو عائلاتهم الذين يُمكن استقبالهم داخل المستشفى باريحيّة أكبر.

ولا يكتفي بعض السجناء بإيذاء أنفسهم عبر التشطيب، وإنّما يعمد بعضهم إلى بلع أدوات حادة كالشفرات أو معدّات تحتوي

> **صناعة القطاعات من حديد القداحة وعبوات المياه وأغطيتها او يد ركوة القهوة مثلاً او سيراميك الحمامات**

على الحديد كأطراف الشوكات أو القداحات والبطاريات، وذلك بهدف الانتقال أيضاً إلى المستشفى.

ويشير عدد من السجناء السابقين والحاليين إلى أنّ غالبية زملائهم الذين يؤذون أنفسهم لا يقصدون الانتحار. ولذلك، فإنّ أكثر الأماكن التي تُشطب هي السواعد والأفخاذ وتحديداً في المناطق البعيدة عن الأوردة الدموية. أما السجناء الذين يتعاطون الحبوب بكمية أكبر، فيتجرأون على تشطيب بطونهم وحتى فتحها في بعض الأحيان. السجين الملقب بـ«الزير» هو أحد هؤلاء، إذ كان يتفاخر بإحداث جرح أسفل بطنه وإخراج أمعائه لإجبار إدارة السجن على تلبية مطالبه.

يشطب بعض السجناء أعناقهم. ولكن هذه العمليّة تحتاج إلى خبرة وانتباه، إذ يعمد السجين إلى إمساك طرف الشفرة بحيث يُدخل منها مليمترات قليلة تجرح طرف عنقه بشكل لا تصل فيه الشفرة إلى داخل عنقه. الهدف من ذلك هو إحداث نزيف يسمح له بنقله إلى المستشفى من دون أن يؤذي نفسه بشكلٍ خطير.

صناعة «القطّاعة»

يندر أن تمر من تحت أيدي السجناء أدوات لا تُستخدم. بالنسبة لهم، كلّ شيء يمكن أن يتحوّل إلى ما هو مفيد وضروري لهم لتسيير أمورهم اليومية. وبما أن إدخال السكاكين ممنوع، فإنّ نزلاء السجون يعملون على تصنيعها يدوياً من قطعة من الحديد أو البلاستيك أو الزجاج أو حتى من الخشب، كي تُستخدم كسكين أو كسلاح.

لا يتخلص السجناء عادة من الأدوات التي تتوقف عن العمل كالتلفزيون والمدفأة والمروحة إنما يعمدون إلى تفكيكها لاستخدام قطعها في صناعة أدوات أخرى، وأوّلها القطع الحديدية لصناعة القطّاعات أي السكاكين والشفرات. ويمكن صناعة القطاعات من حديد القداحة وعبوات المياه وأغطيتها أو يد ركوة القهوة أو سيراميك الحمامات. كما يقوم بعض السجناء بتصنيع أسلحة من الخشب عبر دهنه بزيت الزيتون ووضعه على نار حامية ثم سنّه جيّداً.

رأي الطب النفسي

«لا يمكن تحديد أسباب إيذاء النفس في السجون إلا بعد اجراء تشخيص طبي دقيق لكل حالة»، كما قال الدكتور إيلي غزال لـ «القوس». وشرح المتخصص في الاضطرابات النفسية أن الأسباب متعددة ويمكن أن تشمل:

- عدم تحمل المعاناة النفسية وتفضيل الألم الجسدي سعياً للتغطية عليها
- نداء استغاثة من ظروف قاهرة يمرّ بها في السجن
- مازوشية أو تلذذ بإيذاء النفس
- معاقبة النفس على أفعال قام بها سابقاً واستعاد ذكرها في السجن
- انهيار نفسي جراء حرمانه من الحصول على حبوب أو مخدرات يدمن عليها

شفرة البطن

بطلب بعض السجناء الذين يعملون بتجارة الحبوب المخدرة نقلهم من سجنٍ إلى آخر، في حال كانوا نزلاء في مكانٍ يَصعب فيه إدخال المخدرات والاتجار بها. ولكن ما إن يؤمّن هؤلاء انتقالهم، حتى يؤمّنون زادهم وهي القطاعة والحبوب المخدرة. ولهؤلاء طريقتهم في نقل الممنوعات معهم من خلال لف القطاعة بالقماش وبلعها، فيما تُلف الحبوب باوراق الزبدة او الالمنيوم (السلوفان) وابتلاعها مع امتناعهم عن الاكل والاكتفاء بالسوائل إلى حين وصولهم إلى سجنهم الجديد. وهناك يخرجونها من بقايا البراز.

روايات خلف القضبان

سجين «شيف»

لم يكن سيف (اسم مستعار) يمتلك الخبرات الكافية لتحضير طعامه. يكتفي الرّجل بالأروانة (الطعام الذي يُطهى داخل السجن) أو بما ترسله إليه عائلته حينما يحين موعد المواجهات (الزيارات). ولكن بعد عامٍ من توقيفه، حاول سيف أن يطهو أكله بيده. كانت المرة الأولى في شهر رمضان، حينما كانت الأروانة تصله كترويقة وغداء، فيما لا يمتلك براداً لحفظها حتى موعد الإفطار.

كان السجين يشتهي الفتوش، فقام بتقطيع الخضار وتحضير جاط فتوش قبل أن يترك قسماً من الخضار إلى اليوم التالي. ولكن قبل موعد الإفطار، اكتشف سيف أنّ الخضار تذبل ولن تكون طازجة حتّى اليوم التالي، وعليه قرّر سلقها شوربة على المدفأة الكهربائية التي تُستخدم بغرض الطبخ داخل السجون. وبعد فترة قليلة من السلق، اشتم سيف رائحتها الزكية، وأتى السجناء الآخرون لمعرفة ماذا يطهو.

شجعه مذاق الفتوش ورائحته خلال السلق على زيادة خبراته، فصار يتعلّم من السجناء الآخرين مأكولات لم يكن يعرف تحضيرها، بل تعلّم طبخات عربية من السجناء غير اللبنانيين الموجودين في المبنى نفسه. وحينما لاحظ أن سجناء كثيرين لا يتناولون البندورة التي تُقدّم بالأروانة، صار سيف يجمعها ويقوم بصنع رب البندورة، لتكون له مونة في براداته التي اشتراها وأدخلها إلى زنزانته كي يحضّر مأكولاته ويحفظها حتى اليوم التالي. وكذلك، أدخل التحسينات إلى المدفأ الذي يمتلكه كي تزداد حرارته ليطهو بشكل أفضل.

جريمة في السينما

لم تكن السينما قوامة في رؤيتها للعدالة. فالمجرمون لا يعاقبون دائماً. القاضي ليس على حق دائماً. يمكن للعدالة الا تتحقق. وبالطبع، الحقيقة ليست الملاذ الآمن. تحدّت الافلام معاني القانون والعدالة التي تُعدّ من المسلّمات عادةً واعادت تشكيلها من جديد. القت السينما الضوء على الفظائع واللاعدالة والظلم الذي ما يزال يحدث في مجتمعاتنا. فوجدنا انفسنا بسببها نتعاطف مع الشيطان ونسامح المجرم. تعطي السينما مساحة لتخطي الحاجز العقلي والاخلاقي، بإيقاظ «الوغد» داخل كل منا. تعطينا السينما الحرية لنكون شركاء في الجريمة او العدالة او حتى لنكون نحن المجرمين؛ تخلصنا السينما من مفاهيم العفة والاخلاق والكرامة

علم الجريمة على الشاشة

■ شفيف طبارة

تشكّل أفلام الجريمة وأفلام قاعة المحكمة جانباً من جوانب علم الإجرام الشعبي الذي يبحث في أسباب الجريمة ومكوناتها وسياقها ونتائجها، ويعدّ علم الإجرام الشعبي جانباً من جوانب علم الإجرام نفسه. وإذا عرفنا علم الإجرام بأنه دراسة الجريمة والمجرمين، نصل إلى حقيقة أن السينما أحد المصادر الرئيسة التي يستوعب الناس من خلالها أفكارهم حول طبيعة الجريمة والعقاب بطريقة أكاديمية أو من وجهات نظر أخلاقية وفلسفية ودينية وإيديولوجية إلخ. سنتناول الجريمة والقانون من خلال مفهوم الثقافة الشعبية المتمثلة بالسينما. سنستعرض أفلاماً تاريخية ومعاصرة حفرت في ذاكرة السينما، عالجت العدالة والجريمة والعقاب والحقيقة. سنسافر من هوليوود إلى أوروبا وصولاً إلى أمتنا العربية ونمضي إلى الشرق. سنقيس اختلاف مفهوم العدالة عند الشعوب، اختلاف القوانين وبالطبع نظرة السينما لهذا القانون في كل منطقة وبلد.

على الطريقة الاميركية

القانون والسينما مسرحان للصراع، مشهدان نفهم من خلالهما جوانب إنسانيتنا ومجتمعنا. خلال العقدين الماضيين، وسعت دراسات أفلام الجريمة علم الجريمة. من خلال الاقتراب من أفلام الجريمة كنموذج نظري جديد، يمكن للسينما تقديم وجهة نظر جديدة إنسانية لمجرمين محددين أو للعاملين في مجال العدالة. وقد تقدم الأفلام معلومات خاطئة تؤدي إلى تشويه الرأي العام حول موضوعات محددة في العدالة الجنائية، كأفلام القانون الأميركية أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، حيث يمجّد المحامون والمحاكمات وقاعات المحاكم وسيادة القانون عموماً، فيصبح الفيلم السينمائي أشبه بإيديولوجية. لم تشتّق هذه الإيديولوجية المتعلقة بالقانون من الإيمان بالقانون للأمة الأميركية للأمد الطويل فقط، بل أيضاً لمقارنة النزعة الأميركية بشأن الخطر الشيوعي المتصور. تظل هذه الأفلام، إلى اليوم، وأفلام أخرى جديدة معبّرة عن افتراض إيديولوجي قوي يتعلق بالقانون في الحياة الأميركية. تمثّل هذه الأفلام صورة المحامي الفاضل، النموذج الفعلي في الثقافة الشعبية، وتخلق أيقونات للثقافة الجماهيرية الأميركية. يصور الجزء الأكبر من هذه الأفلام المحامين رجالاً يتمتعون بالنزاهة وملتزمين بعملهم، والمحاكمات في قاعات المحكمة على أنها عادلة، والقانون حليفاً وثيقاً للعدالة.

> لا يكون علم الجريمة في القاعات الأكاديمية وقاعات المحكمة فقط، بل يوجد في الثقافة الشعبية أيضاً

لا يكون علم الجريمة في القاعات الأكاديمية وقاعات المحكمة فقط، بل يوجد في الثقافة الشعبية أيضاً. تترجم السينما النظريات والقوانين المعقدة إلى روايات مقنعة. يمكنها بذلك الوصول إلى العاطفة بشكل أفضل. وزن الجريمة في السينما مكثف؛ التجارب الشخصية التي تعجز النظرية وحدها عن شرحها، يقدّمها الفيلم بطريقة أسهل. يوفر علم الإجرام الأكاديمي الأدوات اللازمة لفهم تأثير الجريمة على المجتمع، ولكن تبقى جوانب لا يمكن لهذا العلم معالجتها كما تعالجها السينما؛ يتعامل الفيلم بسهولة مع القصص الفردية والعاطفية لكل من المجرم والضحية. ولأن جمهور السينما أوسع، يكون للأفلام تأثير نسبي على مفهوم الجريمة الاجتماعي.

سنسطر في هذه الصفحة، ابتداء من هذه المقالة، مفاهيم العدالة والجريمة والعقاب لا بالمعنى الأكاديمي او بالترافق مع كتيب تعليمات: بل سنسأل، من دون البحث عن اجوبة: سنطلق الحرية للسؤال والنقد ونعيد إحياء تفكيرنا النقدي، الذي قد يكون عقلانياً ومنطقياً وعلمياً. ولا يأخذ اي شيء بوصفه مسلّمة. فلنشكك بكل شيء، حتى العدالة. لنا نتحدث مباشرة او نقدياً عن افلام الجريمة والعدالة بل سنطرح السؤال التالي:

كيف ترتبط أفلام الجريمة والعدالة بعلم الجريمة والعدالة، وما تأثيرها على الثقافة الشعبية؟

«Z»

◆ بدلاً من تحقيق العدالة، يُبعَد المدعي العام في ظروف غامضة عن القضية، يموت شهود عديدون في ظروف مريبة، يحكم على القتلة بأحكام قصيرة نسبياً، يتلقى الضباط توبيخاً إدارياً فقط، يموت المقربون من النائب العام أو يُرحَلون، تُسرَّب لصحفي وثائق سرية عن التحقيق. وقبل الحقيقة يحدث انقلاب، يحظر الفن والموسيقى والروائيون والفلاسفة. «Z» (1969) للمخرج اليوناني كوستا غافراس؟

Twelve Angry Men

◆ بدايةً، لدينا القصة التي استثمرها المخرج سيدني لوميت وحقّق اقصى درجة استفادة منها. يسردها ويديرها بالوقت الحقيقي، يحمّلها كل ما يستطيع ولكنها تواصل سيرها بسلاسة. ثانياً، لدينا الرسالة؛ ليس رسالة الفيلم بالمعنى الكبير إنما ما يحاول الفيلم أن يقوله لنا. بالعودة إلى القصة نعلم أن لدينا هيئة محلفين بعد استماعها إلى جميع الشهادات والأدلة المقدمة؛ يتعين على هذه الهيئة المؤلفة من 12 رجلاً أن تقرر بالإجماع، تبرئة شاب متهم بقتل والده أو إدانته. 11 شخصاً منهم مقتنعون تماماً ويميلون إلى الإدانة، وشخص واحد يميل إلى التبرئة. يبدأ النقاش وإثارة الشكوك واختلاف البعض وتشبّثهم برأيهم الأول. قصة بسيطة يظهر المحلفون فيها ليقرروا الحكم، ويظهر كل واحد منهم بشخصية مختلفة تدرس بعناية. يذهب الفيلم أبعد من القصة والحكم إلى إدانة عقوبة الإعدام بطريقة ما، بفعل ذلك مع السؤال الذي يحبك في الفيلم منذ البداية وحتى النهاية: ماذا لو لم يكن مذنباً؟ كيف يمكن للإنسان أن يندد ويحكم على شخص ما، من دون التأكد من وجود أدلة كافية لا يمكن التشكيك فيها ومناقشتها؟ هذا هو المكان الذي يبدأ فيه النقاش في الفيلم.

A Clockwork Orange

◆ ما يزال فيلم ستانلي كوبرك «كلوكورك أورنج» (1971) مليئاً بهجاء اجتماعي حول مسألة ما إذا كان للدولة والمجتمع الحق في مكافحة العنف الاجرامي من خلال حرمان «مرتكب العنف» من إرادته الحرة، إضافة إلى نقد السلطة بوصفها قوة توتاليتارية قمعية. من الجلاد؟ ومن الضحية؟ وهل الشرطة موجودة فقط لأن العنف موجود أم العكس؟

Memories of Murder

◆ استناداً إلى أحداث حقيقية؛ يروي «ذكريات قتل» قصة مطاردة مغتصب وقاتل متسلسل في مقاطعة صغيرة في كوريا الجنوبية في الثمانينيات. يلاحق الفيلم ثلاثة محققين يائسين وهم يحاولون تعقب القاتل. يعكس المخرج بونغ جون هو بعض الحقائق حول نظام العدالة التي لن يتفق معها الجمهور. يطرح الفيلم جدلية العدالة، فالعثور على المجرم ليس سوى جزء من المعركة. هل أعمال العنف مباحة إذا كانت تهدف إلى وقف شر اكبر؟ ومن يقرر شكل العدالة وكيف تُحقَّق؟ لا يشير الفيلم إلى العيوب الموجودة في نظام العدالة وحسب، بل كيف يمكن لتصورنا عن العدالة أن يكون معيباً بطبيعته.

The Act of Killing

◆ «2012» (The Act of Killing) هو عن القتلة الذين انتصروا، ونوع المجتمع الذي شكلوه. خلافاً للنازيين او الروانديين أو حتى الأتراك، لم يجبر التاريخ أنور وأصدقاءه على الاعتراف بالمشاركة في جرائم ضد الإنسانية ومحاكمتهم. بدلاً من ذلك، كتبوا تاريخهم كمنتصرين وأصبحوا قدوة للملايين من الشباب في المنظمة. الفيلم رحلة إلى ذكريات الجناة. يقدم نظرة ثاقبة الى أذهان القتلة وطريقة تفكيرهم، دراسة سيكولوجية للإنسان سواء كان قاتلاً أو مجنياً عليه، فبعض أولاد القتلى وأحفادهم شاركوا في التمثيل ولم يفكروا يوماً بالانتقام. يقدم الفيلم رؤية كابوسية لثقافة الإفلات من العقاب، حيث يمكن للقتلى أن يمزحوا ويضحكوا حول جرائمهم في برامج متلفزة، ويحتفلوا بالقتل بسهولة بالغة. الأغرب والأكثر مدعاة للدهشة: كيف لعملية صناعة فيلم أن تصبح رحلة عاطفية غير متوقعة لأنور، من الغطرسة إلى الندم، حين واجه الآثار الكاملة لما فعله للمرة الأولى في حياته. وبما أن ضمير أنور الهش مُهدّد بالضغط الاجتماعي كي يبقى البطل الذي هو عليه بالنسبة إلى الكثيرين، يعرض الشريط الوثائقي نزاعاً مثيراً بين الخيال الإجرامي والكارثة الأخلاقية الحقيقية الناتجة عن ارتكاب المجازر.

In the Name of My Father

◆ في «باسم أبي» (1993) يلقى القبض على جيري بتهمة الإرهاب التي ستؤدي إلى عقوبة بالسجن مدى الحياة لجريمة لم يرتكبها. والده الذي يسافر إلى إنجلترا رغم إصابته بمرض السل لمساعدته في العثور على محام، سيتهم بالتواطؤ أيضاً وسيسجن مع ابنه في السجن نفسه. القصة الحقيقية واحدة من سلسلة الانتكاسات في النظام القانوني البريطاني التي هزّت المفاهيم السائدة حول قدسية العدالة البريطانية. حتى أثناء تصوير الفيلم تجدد الجدل حول القضية حين صدرت تبرئة ثلاثة ضباط شرطة متهمين بتلفيق الأدلة المستخدمة في المحاكمة. فيلم يتناول نظام العدالة البريطاني الذي أثبت أنه غير معصوم.

Investigation of a Citizen above Suspicion

◆ في «التحقيق مع مواطن فوق الاشتباه» (1970) لإيليو بيتري، يقتل محقق شرطة مرموق عشيقته، ليصبح هو نفسه جزءاً من التحقيق. يشرع المحقق في زرع أدلة وإزالتها من مسرح الجريمة. لكن يبدو وهو يطبق خطته في اختلاق براءته وكأنه يختبر كفاءة تطبيق القانون الإيطالي ونزاهته.

«M»

◆ يتتبع فيلم فريتز لانغ «1931» (M) قصة مجتمع صدم من القتل الوحشي للأطفال، ومدى السعي لتحقيق العدالة والقبض على القاتل. يقدم الفيلم صلة بين الجريمة والمجتمع وجنون الارتياب عندما يكون القاتل غير مرئي، وكيف يمكن أن يتسبب في تدهور الثقة وانقلاب الناس بعضهم على بعضهم. يكشف الفيلم كيف يتعامل لانغ مع العدالة من خلال تحويل المجرمين إلى أخيار، وكيف تؤدي رغبة المواطنين بالانتقام إلى محكمة فوضوية. يوازن الفيلم بين المجتمع الصالح للعدالة وبين مجتمع على حافة الهاوية مهووس بالجريمة والعقاب. يقع الفيلم في المنطقة الرمادية مع عدم وجود إجابة حقيقية للعدالة. هل إلقاء القبض على المجرم والحكم عليه بالإعدام عدالة حقاً. وإن لم تكن كذلك، فما العدالة إذن؟

242 مشتبهاً بهم في إطلاق النار ليلة رأس السنة

مطلقو النار بحسب قوى الامن الداخلي

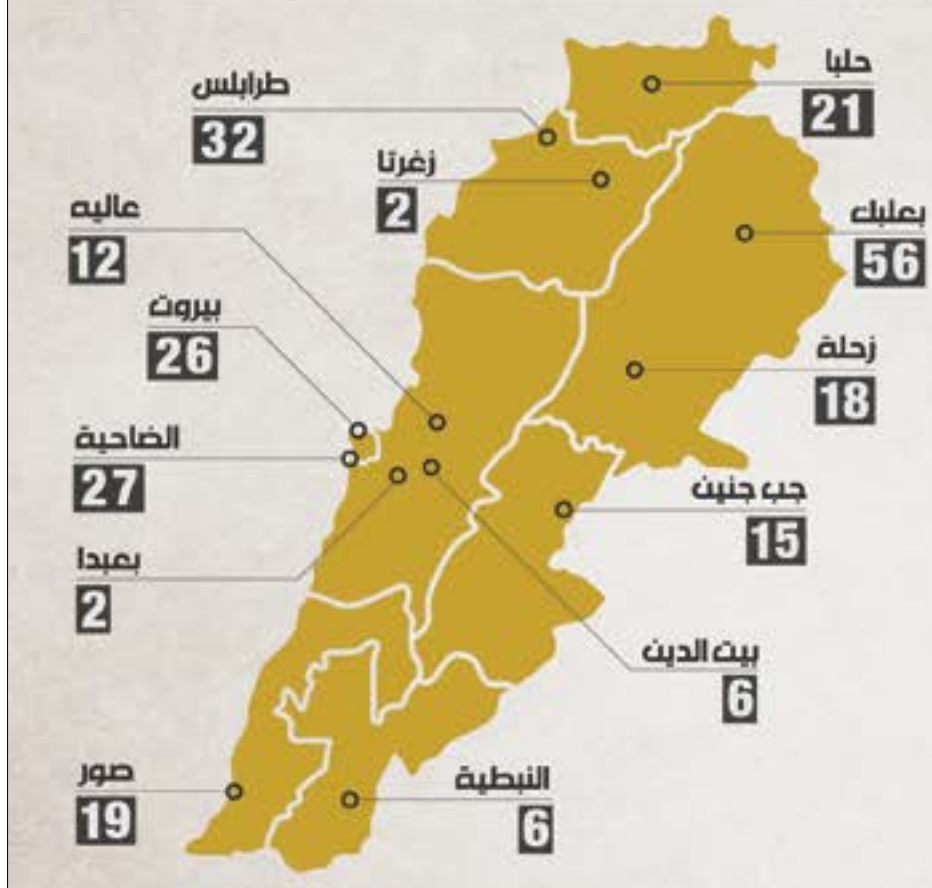

سعر طلقة الكلاشنيكوف يتراوح بين
$1-0,6
18 ألف و 30 ألف ليرة لبنانية*

سعر وسطي لربطة الخبز (800 غرام)
11,000 ليرة لبنانية

سعر مخزن الرصاص (30 طلقة) يتراوح بين
$30 - 20
600 ألف و 900 ألف ليرة لبنانية*

الحد الادنى للاجور
675,000 ليرة لبنانية

* سعر صرف «السوق السوداء»: $1 = 30,000 ليرة لبنانية

القوس
■ مدير التحرير: **عمر نشابة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**
info@alqaous.com
www.alqaous.com
alqaous al_qaous alqaous22 01 / 34 99 54 صادرة عن شركة أخبار بيروت